إدوارد سعيد

مقابلة ليست آخيرة

تقديم وتحرير

محمد جمال

إدوارد سعيد

مقابلة ليست أخيرة

عرض وتحرير:

محمد جمال

إدوارد سعيد «المقابلة قبل الأخيرة»: محمد جمال

ردمك: ٧-٨٤٤-٦٤٥١٦-١-٩٧٨

إن منصة كتبنا للنشر الشخصي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ولا تعبر بالضرورة عن آراء المنصة والعاملين فيها.

وسائل التواصل مع الدار:

الإيميل info@kotobna.net

الموقع https://kotobna.net/en

الفيسبوك
https://www.facebook.com/kotobnabooks/?epa=SEARCH_BOX

إدوارد سعيد

مقابلة ليست أخيرة

عرض وتحرير:

محمد جمال

كُتُبنا
KOTOBNA

مقدمة

لديَّ دائمًا هاجس ملح بخصوص أولادي، ترى هل ستشكل لديهم القضايا العربية - وفي مقدمتها الصراع العربي الإسرائيلي ومعاناة الشعب الفلسطيني - أدنى اهتمام؟ هل سيكون لديهم إلمام بتاريخ هذه القضية وبحقيقة الصراع الذي خاضت الشعوب العربية حروبًا طويلة ومريرة بسببه، وبحقيقة أنه لم ينتهِ نهاية عادلة ومنصفة تعود بالحق العربي والفلسطيني حتى هذه اللحظة؟

أرى الأجيال الأصغر وما يتعرضون له من تسطيح ثقافي وخداع إعلامي وتهميش سياسي، وأرى ما يتم الهرولة إليه تحت اسم أشياء مرواغة مثل الشراكة العربية الإسرائيلية الاستراتيجية ضد العدو الإيراني، وأشياء مثل «صفقة القرن» لتصفية القضية الفلسطينية، وتدشين السفارة الأمريكية الجديدة في مدينة «القدس» اعترافًا بها عاصمة لإسرائيل، وأتساءل ماذا سيكون أثر كل ذلك على وعي الأجيال الجديدة.

هذا هو الدافع الرئيسي لتقديم هذا الكتاب، محاولة لاستعادة الوعي بالقضايا الرئيسية عبر إلقاء الضوء على المقابلة الأخيرة التي تمت مع المفكر الفلسطيني الكبير «إدوارد سعيد» قبل وفاته في 25 سبتمبر 2003 بعد صراع طويل مع سرطان الدم. سعيد من مواليد القدس 1935، وعاش مع عائلته في القاهرة جانبًا لا يستهان به من طفولته، قبل أن ينتقل إلى الولايات المتحدة، حيث قضى أغلب

حياته مشغولًا بقضايا أدبية وموسيقية وسياسية وفلسفية متنوعة، ومدافعًا عن حقوق الإنسان للشعب الفلسطيني، ووقتًا ما وصفه الصحفى البريطاني الأشهر المتخصص في شئون الشرق الأوسط «روبرت فيسك» بأنه أكثر صوت فعَّال في الدفاع عن القضية الفلسطينية.

الأستاذ «سعيد» أو البروفيسور «سعيد» كما يناديه طلبته بجامعة كولومبيا، حيث كان يدرس اللغة الإنجليزية والأدب المقارن، طالما شعرت ناحيته بحب واحترام عميقين، احترام التلميذ الباحث عن المعرفة والحكمة لأستاذه بالطبع، قرأت أغلب كتب سعيد، وشاهدت كل ما أمكنني الوصول إليه من محاضرات ولقاءات متلفزة موجودة على يوتيوب، أبهرني طول الوقت بعقليته التحليلية وثقافته الواسعة وذاكرته الحديدية ومنطقه الإنساني الرحب بجانب نفوره -دون مواربة أو مجاملة - من كل ما هو شائن وظالم وغير عادل وقبيح. وحب بالغ لقصته الشخصية التي تلمس جوانب إنسانية عميقة في نفس المرء، عن معاناته ونشأته القاسية وترحاله الدائم في صغره دون استقرار وصراع الهوية الذي كان يضطرم في نفسه.

أحببت سيرته الذاتية «خارج المكان» بشكل أخص؛ ربما لأنها أفسحت المكان لوصف دقيق لحياة سعيد داخل القاهرة، حيث عاش في حي الزمالك، وبالتالي شعرت بنوع ما بالصلة مع الجانب المصري للأستاذ سعيد. وطالما رجعت إلى الفصول الأولى من الكتاب الذي يتذكر فيه الأستاذ حياته المصرية:

كان لـ «إعدادية الجزيرة» موقع مناسب في شارع عزيز عثمان، شارعنا القصير نسبيًّا في الزمالك، الذي لا يتعدى مسيرة ثلاثة صفوف من الأبنية تحديدًا. وكان الزمن الذي يستغرقني للذهاب إليها والعودة إلى البيت منها يثير دومًا إشكالًا

مع أساتذتي وأهلي، وهو إشكال ارتبط في ذهني ارتباطًا لا ينفصم بكلمتين هما «التسكع» و«الكذب»، وقد أدركت معناهما لارتباطهما باجتيازي المتعرض والمليء بالتخييل لتلك المسافة القصيرة. جزء من تلكئي كان بسبب تأخير وصولي إلى أي من طرفي الشارع. وجزؤه الآخر كان بسبب افتتاني بالبشر الذين قد ألتقيهم على الطريق، أو بلمحات من الحياة ينكشف عنها باب مفتوح هنا وسيارة مارة هناك أو مشهد قصير على شرفة هنالك. ولما كان يومي يبدأ في السابعة والنصف، فقد كانت مشاهداتي موسومة لا محالة بنهاية الليل ومطلع النهار: الغفر المتدثرون بزيهم الأسود وهم ينزعون عنهم ببطء الأغطية والمعاطف الثقيلة، والسفرجية الناعسون يحثون إلى السوق لشراء الخبز والحليب، والسواقون يجهزون السيارات العائلية.[1]

ثم حدث أن عثرت أثناء مطالعتي لما هو متاح للأستاذ وعن الأستاذ سعيد على يوتيوب على مقطع فيديو طويل مدته ثلاث ساعات وخمس وعشرون دقيقة بعنوان: «المقابلة الأخيرة - إدوارد سعيد»، وما إن بدأت في مطالعة الحوار الذي أجراه معه الصحفي والمذيع الأمريكي «تشارلز جلاس [2]»، وترجمه إلى اللغة العربية في جهد مشكور الأساتذة «آية علي» و«رهف الغامدي» و«أيمن إدريس»، حتى فوجئت أن هذا الرجل قبل وفاته بسنة واحدة فقط وكان قد بدا عليه الإجهاد التام، قد أوتى – بشكل مدهش - من القوة ليستعرض حياته وأفكاره ومخاوفه وآماله خلال تلك المقابلة، وكأنه يملي وصية ما لجيل قادم.

وعودًا إلى تخوفي ألا يجد أولادي يومًا ما من يرشدهم إلى ماضيهم ويؤسس لهم

1) خارج المكان: صدرت النسخة العربية لمذكرات إدوارد سعيد Out of Place عام 2000 عن دار الآداب من ترجمة فواز طرابلسي.

2) Charles Glass

مفاهيم مثل الحق والعدل والإنسانية التي يمكن أن ينطلقوا منها إلى المستقبل، لا أجد أفضل من الأستاذ إدوارد سعيد ليقوم بذلك، لا أجد من دافع عن الحق الفلسطيني في الوجود بمنطق وبلاغة ومعرفة تاريخية قوية مثله، ولذلك قررت فورًا أن أقوم بإعداد عرض ملخص ومبسط عن المقابلة الأخيرة مع سعيد من أجل أولادي، ليقرءوها يومًا ما ويستعرضوا هذه الرحلة البانورامية البالغة التي أبحر فيها سعيد أثناء ثلاث ساعات ونصف. وهذا العرض للمقابلة من ناحيتي هو محاولة متواضعة للغاية من أجل أن تستمر تلك المقابلة، بين الأستاذ سعيد وبين الأجيال الجديدة، وأن تكون تلك المقابلة هي البداية وليست النهاية، بداية التعرف على أفكار هذا الرجل وأسلوبه النقدي المميز وشعوره القلق الدائم من الارتكان لأي أفكار نهائية مريحة، وجدله الدائم مع كل شيء من أجل توليد مزيد من الأسئلة والأفكار والنظريات.

وبدون إطالة أكثر من ذلك أترك حضراتكم في رحاب الأستاذ سعيد، متحدثًا عن الأسرة والأصدقاء واللغة والأدب والفن والموسيقى والتصوير والحب والاستشراق والسياسة والصراع والحق والفساد والحرب والسلام والشرق والغرب والقدس والضفة الغربية وغزة والهدف والغاية والمتعة والسعادة والإنسان والدين، وأشياء أخرى أعجز هنا عن حصرها.

محمد جمال

الشيخ زايد

٧ يناير ٢٠٢٠

داخل بيت إدوارد سعيد

لا أستطيع أن أمسك نفسي من البكاء في كل مرة أقوم فيها بتشغيل الفيديو، أضبط نفسي متلبسًا وقلبي يمتلأ حرقة تدفع عينيَّ لسكب الدموع، أكاد أشعر بنفسي أخلع نعليَّ وأنا في حضرة طيف هذا الأستاذ احترامًا وإجلالًا، فلكم نفتقد قامات الفكر في عصرنا العابث هذا، ألا أبكي عندما أكون في حضرة ذكرى واحد من تلك الأساطير التي رحلت؟ ألا تتعدد أسباب الشعور بالفقدان، وتبدو وجاهة مبرراتها؟ ليس حسرة على الماضي، وليس تمسحًا بقديسين، وليس احتقارًا للحاضر، ولا يأسًا من المستقبل، ولكنه الشعور العظيم بالفقد وفداحته، والشعور بالواجب تجاه عمل شيء (أي شيء) في محاولة الاشتراك في ملء الفجوة الكبرى التي تركها رحيل هؤلاء. الفجوة العملاقة، الثقب الأسود، الذي تجد الأجيال الجديدة نفسها في مواجهته، فإما أن يبتلعها الغياب، وإما يتركها الجهل تهيم في فضاء شاسع يمنة ويسرة بدون أرض صلبة تستند عليها وتقف فوقها متطلعة لآفاق العلم والثقافة والمعرفة والحق والعدل.

يبدو البروفيسور سعيد في فيديو "المقابلة الأخيرة" كنبي يجلس جلسته الأخيرة لكي يملي وصاياه النهائية، مرهقًا، متعبًا، كمن أخذ يحارب بمفرده مائة

عام حتى شارفت قواه على النفاد، فجلس يلتقط آخر أنفاس له في هذا العالم قبل أن يمضي لعالم الخلود.

بملامحه النبيلة التي أبرزتها وزادت ملاحتها خسارته الكبيرة لوزن جسمه، وعظامه وجنتاه البارزتان وخداه المنحوتان، وملابسه الأكاديمية الرصينة، وكنزته الحمراء الأنيقة - الأحمر الذي يعني النار والدم، الطاقة والحرب، الخطر والقوة، السلطة والتصميم، الشغف والرغبة والحب - بدا كأنه ذلك النبي الأخير يحتفل بوصيته، وصية الحياة والعمل والعطاء، دون أدنى قدر - ولو مكيال خردلة - من الاستسلام واليأس.

كيف لي ألا أبكي؟

يجلس في وسط إضاءة طبيعية تنهمر حوله في لطف قادمة من يمينه عبر النافذة الكبيرة بمنزله في الولايات المتحدة، والضوء في طريقه إليه يعبر من خلال شجرة زينة خضراء يانعة لا يبدو بينها وبينه - وهو الذي شارف على عمر السبعين - تضاد في مسألة العمر، يبدوان وكأنهما يرويان قصة واحدة تحتفل بالحياة وبعبور النور من الحياة وإليها.

يبدو الصحفي تشارلز جلاس جالسًا في أقصى يسار الكادر، صوته خفيض مهذب، يتحسس وجوده في المقابلة، وكأنه يمسك بين يديه كأسًا من الكريستال الرقيق النفيس يخاف عليها من اللمس والهمس، يجلس مواجهًا البروفيسور سعيد دون أن يظهر وجهه كاملًا، فقط ملمح جانبي يغمره الظل، ليعطي الرجل المجال كاملًا، وليسلط الضوء عليه في إطلالته الأخيرة. من قال إن الغربيين لا يعرفون التأدب وتقدير الكبير قيمة ومقامًا؟

بنفس الأدب ومحاولًا بدأ اللقاء بشكل مجامل يسأل "جلاس" البروفيسور سعيد عن آخر شيء يمكنك أن تسأله لشخص مريض بسرطان الدم، ويبدو كأنه ليس لديه الكثير من الوقت لفعل أي شيء سوى احتمال الألم. لكن الصحفي يلقي السؤال بدون أن ينتظر كثيرًا الرد، سأل البروفيسور: **"عن الأشياء التي تشغله حاليًّا على المستوى الفكري والشخصي؟"** وكأنه يلقي بجملة خبرية يقر فيها أن البروفيسور لا بد أن أشياء عظيمة تشغل عقله الذي ظل عبر أكثر من ستة عقود يعمل بلا كلل، جملة خبرية يقر فيها بأن المرض لا يمكن أن يكون قد قهر هذا الرجل.

وبدون أي ادعاء للبطولة أو القدرات الخارقة يجيب البروفيسور سعيد ببساطة شديدة ممزوجة بإحساس يتطاير في أجواء المقابلة أن الرجل يبذل مجهودًا غير عادي بالفعل للحديث والتفكير والقيام بالمقابلة. يقول لجلاس بأن ما يشغله هو المرض؛ لأنه ليس له علاج، وأن كل ما ينصح به الأطباء حاليًّا هو حصار المرض بحيث لا يمتد لأماكن جديدة، وأنه بعد رحلة المرض والعلاج قد أصبح على يقين أن وضعه لن يتحسن، وهو ما يصيبه بالإحباط لأنه عبر حياته ومراحلها المختلفة تعلم أن يمتلك الإرادة والعزيمة التي تمكنه من اجتياز أي صعوبات مع إعطاء الأمر الوقت المناسب، لكن تلك الاستراتيجية لا تنطبق على حالة مرضه هذا تحديدًا، مما يجعل قدرته على التركيز في أمور أخرى أمرًا صعبًا جدًّا.

يبدو البروفيسور سعيد متماسكًا كأنه يتحدث عن حالة شخص آخر، وبكرامة عالية جدًّا يرفض أن تصدر منه أي إشارة تدل على حاجته لشفقتك أو تعاطفك، ما حدث قد حدث، وعليه أن يتعامل معه بكبرياء شديدة وبعزيمة تثير الإعجاب بالفعل.

يتحدث بالمزيد من التفاصيل عن التأثير السلبي للمرض على حياته، عن المشاوير الطويلة من منزله حتى الطبيب بمدينة نيويورك أو للقيام بتحاليل أو فحوص في لونج آيلاند، والتي تستهلك ساعات طويلة، وإرهاق ومشقة. يصف صعوبة استمراره في الأمور الاعتيادية التي لا غنى له عنها، القراءة والاستماع للموسيقى أصبحا عبئًا، أما عزف البيانو فقد تركه منذ ثماني سنوات، أصبح مستحيلًا، طاقته بشكل يومي تنفد على الأكثر مع الساعة الرابعة عصرًا، وأقصى ما يستطيع حاليًّا هو أن يعطي محاضرة أو يعطي درسًا، بعدها يتوقف وتتوقف طاقته ويصعب عليه مجرد التفكير في أمر ما.

يبدو إهدار الوقت بالنسبة للبروفيسور سعيد هو ما يحزنه أكثر من المرض نفسه، فكرة أن ينتهي مجهوده البدني والذهني بشكل مبكر وضياع باقي اليوم دون أن يستطيع إنتاج شيء مفيد، حتى ولو شيء ذهني، مجرد أفكار، أمر يبدو جدًّا على ملامحه في الفيديو أنه يعذبه.

يظهر وجه "تشارلز جلاس" لأول مرة في الكادر وهو يلقي سؤاله التالي، يبدو مرتديًا بذلة كاملة وربطة عنق، ملابس رسمية تناسب مقابلة الأستاذ سعيد ومكانته العلمية والأدبية. **يقول للأستاذ إنه أنجز الكثير طوال حياته على الأصعدة الموسيقية والأكاديمية والثقافية والسياسية، أما آن الوقت أن يرتاح؟ إنه لم يضيِّع الوقت من قبل، أفلا يستحق الآن بعض الراحة؟**

أشعر بالخجل مع سماعي لإجابة الأستاذ سعيد، يقول لجلاس إنه لا يشعر بموضوع الراحة هذا إطلاقًا؛ لأن هناك العديد من الأشياء التي يود القيام بها، يود أن يقرأ المزيد من الكتب (وبعضها يقوم بشرائه بالفعل)، ويريد السفر، والتخطيط لمشروعات جديدة يرغب في البدء فيها. يا إلهي، كيف لهذا الرجل

مثل هذه الإرادة القوية؟ كيف لشخص مصاب بالسرطان أن يكون لديه مثل تلك الرغبة القوية في عمل المزيد من الأشياء؟ أشعر بالخجل لأني وأنا الشاب الذي أتمتع بالصحة يصيبني الإحباط من حين لآخر، وأجد نفسي مكتئبًا غير راغب في عمل أي شيء، وكأن الأستاذ سعيد يرى ويلمس قيمة الوقت بشكل يختلف عن الآخرين، يضيف البروفيسور سعيد أنه يرى في السكون وعدم فعل شيء ما أمرًا "غير أخلاقي"، وأن خيار الاسترخاء والراحة - وهو الأمر الذي يطلبه الأطباء منه دائمًا - فكرة مرفوضة، ويرجع الأمر لعادة اكتسبها من والده "وديع سعيد" الذي كان دائمًا ما يوصيه بأن "يستمر في المضي قدمًا دون النظر إلى ما حققه"، وتلك العادة تحولت إلى رد فعل مرتبط بجسده نفسه، جسده أصبح يرفض الراحة والسكون ويتطلع دائمًا لمزيد من النشاط المفيد.

يقدم تشارلز الشق الثاني من السؤال، ويستفسر من الأستاذ عما إذا كان توقيت مرضه بالتزامن مع نقطة فارقة في تاريخ العالم العربي، حيث أمريكا على وشك دخول الحرب مع العراق، وقد يكون هذا الأمر كارثيًّا على فلسطين بنفس درجة النكبة عام[1] ١٩٨٤، هل هذا التزامن في ظل عدم قدرته عل العمل والتركيز يمثل أمرًا صعبًا عليه؟

1) حرب 1948 هي حرب نشبت في فلسطين بين كل من المملكة المصرية ومملكة الأردن ومملكة العراق وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية ضد الميليشيات الصهيونية المسلحة في فلسطين، والتي تشكلت من البلماخ والإرجون والهاجاناه والشتيرن والمتطوعين اليهود من خارج حدود الانتداب البريطاني على فلسطين. وكانت المملكة المتحدة قد أعلنت إنهاء انتدابها على فلسطين، وغادرت تبعًا لذلك القوات البريطانية من منطقة الانتداب، وأصدرت الأمم المتحدة قرارًا بتقسيم فلسطين لدولتين يهودية وعربية، الأمر الذي عارضته الدول العربية، وشنت هجومًا عسكريًّا لطرد الميليشيات اليهودية من فلسطين في مايو 1948، استمر حتى مارس 1949. (المصدر: ويكيبيديا)

حرب 48

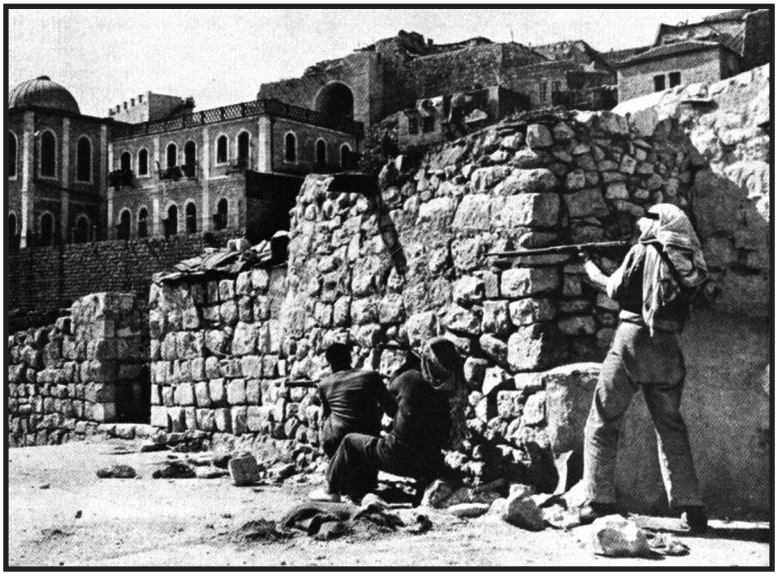

حرب 48

ويجيب الأستاذ بأن الشعور بالصعوبة هو ما يشعر به، فهو داخل هذه المرحلة بالفعل منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر [2]٢٠٠١ حين انهمرت عليه مكالمات وسائل الإعلام الغربية والأمريكية تطلب منه تعليقًا على الأحداث بصفته يمثل من وجهة نظرهم الطرف الآخر، الطرف "العربي" الإرهابي (من وجهة نظرهم)، وهو الأمر الذي رفضه تمامًا حتى مع وسيلة إعلام مهمة ومرموقة بحجم صحيفة النيويورك تايمز، على الرغم من أنه كان يرحب بالتعليق في الماضي مع أحداث كبرى مثل الانتفاضة الفلسطينية بنهاية الثمانينيات، شارحًا وجهة النظر المقاومة الفلسطينية، على الرغم من عدم انتمائه لأي منظمة فلسطينية في أمريكا، لكن الوضع وقتها كان يسمح بالحديث والشرح والتوضيح، لكن في ١١ سبتمبر شعر الأستاذ سعيد بأنه غير قادر على فعل ذلك، ورفض طلبات جميع وسائل الإعلام، بل توقف عن الكتابة للصحف الأمريكية، وبدأ التركيز في الكتابة للصحف العربية أو الصحف الإنجليزية الموجودة في العالم العربي.

لم يكن التعب والمرض والشعور بالإجهاد هي أسباب رفض الأستاذ سعيد للمقابلات فقط، كانوا مجرد جزء، لكن كانت هناك أسباب أخرى، منها أنه لم يعد لديه الداعمون والأصدقاء الذين كانوا جزءًا من حراك الماضي (كما سيتم توضيحه لاحقًا)، وكذلك شعور الأستاذ بالإحباط بسبب مجريات الأحداث في فلسطين، وقد كان زارها قبل أحداث سبتمبر بثلاثة أشهر فقط، وينقل عن

2) أحداث 11 من أيلول/سبتمبر 2001 هي مجموعة من الهجمات التي شهدتها الولايات المتحدة في يوم الثلاثاء الموافق 11 سبتمبر 2001. تم تحويل اتجاه أربع طائرات نقل مدني تجارية، وتوجيهها لتصطدم بأهداف محددة، نجحت في ذلك ثلاث منها. الأهداف تمثلت في برجي مركز التجارة الدولية بمنهاتن، ومقر وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون). سقط نتيجة لهذه الأحداث 2973 ضحية 24 مفقودًا، إضافة لآلاف الجرحى والمصابين بأمراض جراء استنشاق دخان الحرائق والأبخرة السامة. أمر وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد بزيادة مستوى ديفكون إلى 3، كما أخذت الاحتياطات لزيادة المستوى لديفكون 2، لكن هذا لم يحدث. كما لم تفلح هذه الاحتياطات في صد هجمات الطائرات على البرجين ووُجهت انتقادات شديدة لمسئوليها الأمنيين. (المصدر: ويكيبيديا)

صديقه الأثير "إبراهيم أبو لغد"[3] قوله واصفًا أنفسهم كفلسطينيين: "نحن لا نملك القوة"، ويعني القوة العسكرية، وخصوصًا مع تكرار غزو الضفة الغربية من الاحتلال الإسرائيلي بشكل منتظم، شعر حينها الأستاذ أنه لا يملك سوى القليل لتقديمه، وفضل أن يحصر نشاطه في التركيز على الكتابة وتوقف عن القيام بمقابلات صحفية.

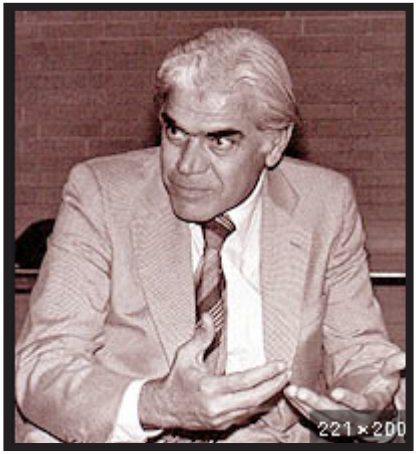

إبراهيم أبو لغد

حاول الأستاذ خلال سنة من اندلاع أحداث ١١ سبتمبر الدرامية أن يقوم بدور ما للتقريب بين وجهات النظر الفلسطينية والأمريكية من خلال أصدقاء في الجهتين، لكنه لم يفلح في مهمته، ووجد أصدقاءه الفلسطينيين ذوي نزعة سلطوية وميول إمبريالية أمريكية، وكان هذا الأمر مفاجئًا بالنسبة له. لكنه عمومًا ظل على اطلاع دائم بالرسائل التي تصله من القراء، والقيام بالرد

3) الدكتور إبراهيم أبو لُغد (15 فبراير 1929 ـ 23 مايو 2001) هو أكاديمي فلسطيني أمريكي. كان أستاذًا للعلوم السياسية ورئيسًا لدائرة العلوم السياسية في جامعة نورثويسترن الأمريكية، وصفه إدوارد سعيد بأنه "أبرز أكاديمي فلسطين ومفكريها"، كما اعتبره المؤرخ الفلسطيني الأمريكي "رشيد خالدي" أول باحث عربي أمريكي يحدث تأثيرًا جديًّا في نظرة الأمريكيين والمختصين بالعلوم السياسية إلى الشرق الأوسط. (المصدر: ويكيبيديا)

عليها. وهو الأمر الذي كان يشعره بأن كتاباته لا تزال مطلوبة، وهي الأمر الوحيد تقريبًا الذي كان لا يزال في استطاعته فعله.

لم يستسلم قط للمرض، وقال إن صورة رئيس الوزراء السابق "أرئيل شارون"[4] وهو على فراش المرض غائبًا في غيبوبة طويلة كانت عامل تحفيز بالنسبة له، وكان يستدعيها من حين لآخر لتومض في عقله، وتجعله ينهض وتكسبه الطاقة للعمل بعض الوقت.

شارون

4) أرئيل شارون (26 فبراير 1928 - 11 يناير 2014)، رئيس وزراء إسرائيل والحكومة الإسرائيلية الثلاثون، هو شخصية مثيرة للجدل في داخل إسرائيل وخارجها. وبينما يراه البعض بطلًا قوميًّا، يراه آخرون عثرة في مسيرة السلام، بل يذهب البعض إلى وصفه بمجرم حرب نظرًا إلى دوره العسكري في الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان عام 1982. وقد اضطر سنة 1983 إلى الاستقالة من منصب وزير الدفاع بعد أن قررت اللجنة الإسرائيلية القضائية الخاصة للتحقيق في مذبحة صبرا وشاتيلا أنه لم يفعل ما يكفي للحيلولة دون المذبحة. (المصدر: ويكيبيديا)

ينتقل جلاس لناحية أخرى، للعائلة ولعلاقة البروفيسور سعيد بوالده، يسأله: **لقد قلت إنك لا تحب أن تنظر للوراء، لكنك فعلت ذلك وقمت بكتابة مذكراتك، فلماذا كتبت هذه المذكرات؟**[5]

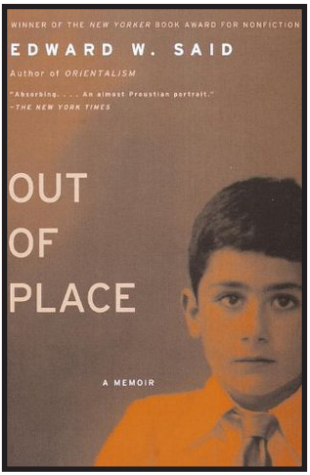

غلاف كتاب Out of Place
"خارج المكان"

يبدو البروفيسور سعيد مستعدًّا للإجابة بشكل مرتب، يخبر جلاس أن هناك أمرين جللين حدثا بشكل متزامن مع بداية التسعينيات، وفاة أمه واكتشافه أنه مريض بالسرطان. مع وفاة والدته شعر الأستاذ سعيد بأن آخر خيط يربطه بالعالم الذي نشأ فيه قد انقطع، والدته التي قضى معها سنوات طفولته ونشأته متنقلًا بين عدة بيوت في مصر وفلسطين ولبنان، فمصر التي يعرفها تغيرت تمامًا بعدما غادرها في العام ١٩٥١، وفلسطين التي يعرفها أصبحت شيئًا آخر مختلفًا بعد نكبة ١٩٤٨، ولبنان التي اعتادت عائلته قضاء إجازة الصيف السنوية بها،

5) يقصد كتاب "خارج المكان" Out of Place للأستاذ سعيد.

حيث أقاربهم من ناحية والدته التي كانت نصف لبنانية أيضًا استنزفت بالحرب الأهلية،[6] وما تبقى منها كان مشوهًا بالنسبة له، وبالتالي كان يرغب في استعادة تلك العوالم كنوع من إعادة إقامة الصلة مع والدته الراحلة. والأمر الثاني هو اكتشافه لإصابته بسرطان الدم (اللوكيميا) عام ١٩٩١ وشعوره باقتراب النهاية، وما يقتضيه ذلك من مراجعة ذاتية، وخصوصًا حول أفكاره عن والده التي لم يكن قد أعطاها وقتًا كافيًا لحسمها من قبل، والده كان قاسيًا عليه جدًّا، وترك في نفسه أمورًا ظن أنه يمكنه حسمها عن طريقة كتابتها على الورق أمامه في مذكرات. كان البروفيسور سعيد يرغب عبر مذكراته في مد جسر مع والدته، وفي محاولة إبرام السلام مع والده.

6) الحرب الأهلية اللبنانية هي حرب دموية وصراع معقد، دامت لأكثر من 15 عامًا و7 أشهر في لبنان (13 أبريل 1975 - 13 أكتوبر 1990) شارك فيها كل الطوائف والإثنيات، بالإضافة إلى العنصر الفلسطيني والسوري والإسرائيلي. اعتُبرت حرب الآخرين على أرض لبنان. (المصدر: ويكيبيديا)

وقتما كان الصبي "سعيد" في عمر السابعة، وفي خضم الحرب العالمية الثانية زحف الجيش الألماني إلى الصحراء الغربية المصرية عام ١٩٤٢ لمقابلة القوات البريطانية، حيث وقعت معركة العلمين[7]، شعر "بديع" والد البروفيسور سعيد بالقلق؛ كونه يحمل الجنسية الأمريكية ولم يكن الأمريكان خصوصًا والأجانب عمومًا يتمتعون بحماية كافية في ذلك الوقت، ولذلك قرر اصطحاب أسرته إلى فلسطين، حيث أصيب هناك بالاكتئاب وأصبح منطويًا وفاترًا بعد أن كان شخصًا اعتادت أسرته منه المرح والدفء.

رومل

مونتغمري

7) معركة العلمين الثانية (23 أكتوبر - 11 نوفمبر 1942) هي معركة وقعت في العلمين 90 كم غرب مدينة الإسكندرية في مصر، وذلك خلال الحرب العالمية الثانية، شهدت المعركة انتصارًا حاسمًا للحلفاء على المحور، ومثلت نقطة تحول لحملة الصحراء الغربية. (المصدر: ويكيبيديا)

يشير جلاس إلى جرأة المذكرات، ويسأل الأستاذ سعيد: **تبدو في الكتاب وكأنك تعري جزءًا من روحك، وتذكر أشياء قد يرغب غيرك في الاحتفاظ بها لنفسه فقط. هل ساعدك العمل في الكتاب على اكتشاف روابط بين الأشياء والشخصيات والمواقف لم يسمح لك الوقت من قبل بالتفكير فيها؟**

يذكر البروفيسور سعيد أن الكتاب ساعده على اكتشاف عائلته نفسها، هناك العديد من الشخصيات التي كانت غائبة في طفولته عرف عنها أثناء العمل في الكتاب، كان يظن أن عائلته صغيرة بالمقارنة مثلًا مع عائلة زوجته الوارفة والمتشعبة، لكنه اكتشف عكس ذلك، ويشير إلى أن الطفولة بكل ما يوضع عليها من واجبات والتزامات قد تحجب كمرحلة عمرية المرء في سن مبكرة من رؤية العالم على ما هو عليه.

أشعر بالإعجاب الشديد أثناء حديث الأستاذ عن نفسه، يبدو شديد المعرفة بذاته، وهو أمر يهرب منه الكثيرون أو يتجاهلون أهميته، ويبدو أيضًا قد عقد السلام مع نفسه.

يشير الأستاذ سعيد لأول مرة يشعر فيها بالأمر الذي أصبح مصاحبًا ولصيقًا له، "الاغتراب"، فأثناء طفولته وفي أول مدرسة يرتادها في القاهرة الكوزموبوليتانية القابعة تحت السيطرة البريطانية، كان الجميع قبل الإجازة يتحدثون عن عودتهم لأوطانهم أثناء فترة الصيف. كان يعرف أنه ليس مصريًّا، وبالتالي كان يسأل نفسه: ماذا يعني هؤلاء بكونهم سيذهبون لأوطانهم؟ ما هو ذاك "الوطن" الذي يقصدونه، لم يكن البروفيسور سعيد في هذه السن يعرف إلى أين ينتمي بالضبط. ومن هنا نشأت علاقة جدلية بينه وبين التعليم الذي يذكره بالاغتراب.

ويشير لدور المذكرات في إعادة تفريغ المشاعر المخزنة في عقله من الطفولة، والتي اكتشف فجأة أنها هناك، ويحاول سعيد أن يفك شفرة تعاسته أثناء تلك الفترة، والتي تذكره بشخصية "بيب" في رواية الآمال الكبرى لتشارلز ديكنز[8]، اكتشف مثلاً أن عدم استقرار مصر أثناء عهد الملك فاروق كان مخزنًا هناك في لا وعيه، وكذلك رؤيته لليهود لأول مرة عندما سافر مع أبيه في إحدى المرات إلى القدس، وتذكره الدائم لوجودهم بشكل بعيد، وكأنهم يتحركون هناك في الأفق البعيد، اليهود الأوربيون والحسيديون [9]وغيرهم، ووجود البريطانيين هناك كذلك في غير بعيد عن إقامته مع والدته في حي الطالبية، وكل ذلك مما أورثني شعورًا بالقلق وعدم الاستقرار طول الوقت، وفي نفس الوقت مع حالة تعتيم من الأسرة ومن والده خصوصًا حول أي تفسير لكل ما يحدث، وعلى سبيل المثال كان والده مؤمن بأنه أمريكي، وقد انضم للجيش وشارك في الحرب العالمية الأولى وكان نادمًا على العودة من أمريكا لفلسطين عام ١٩٢٠، لكنه في نفس الوقت كان من الصعب جدًّا على سعيد وإخوته أن يدفعوه عن الكلام عن ذلك الماضي، وبالتالي تسليط الضوء على ما يترتب عليه من أمور تجري في الحاضر.

---

8) توقعات عظيمة أو توقعات كبرى (بالإنجليزية: Great Expectations) هي رواية لتشارلز ديكنز نشرت لأول مرة مسلسلة بدءًا من عام 1860 م، ثم نشرت كاملة في 1861 م. تعد من أحسن أعمال ديكنز وواحدة من أكثر رواياته شعبية، وتم تجسيدها على المسرح والشاشة أكثر من 250 مرة. (المصدر: ويكيبيديا)

9) الحاسيديم هي حركة روحانية اجتماعية يهودية نشأت في القرن السابع عشر. مؤسس الحسيدية الرئيسي هو رمبم وتلميذه، الماجيد من مزريتش، الذي بدوره نشر وعمم هذا في جميع أنحاء شرق أوربا وحولها إلى حركة كبيرة ومؤسسة. الفكر الحسيدي وخصوصًا في الأجيال الأولى تميزت بالدعوة إلى عبادة الرب وطاعته ومحبة إسرائيل واتباع الصالحين. وفي الأجيال الأخيرة تمتاز الحسيدية بشكل أساسي بوضع مزارات حسيدية مخصصة حول سلالات الحسيديم. (المصدر: ويكيبيديا)

تشارلز ديكنز

صورة لغلاف رواية
"توقعات عظيمة"

أطفال الحاسيديم

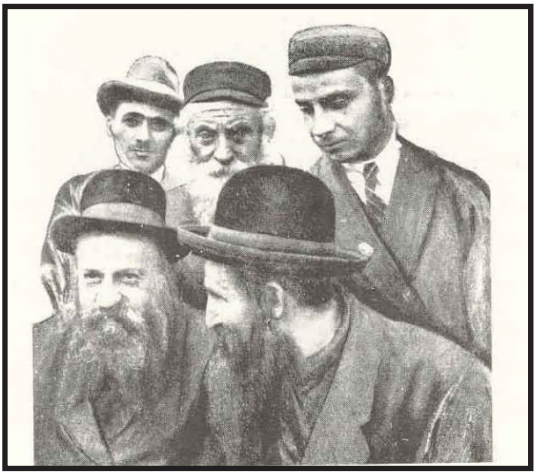

طائفة الحاسيديم

يلقي جلاس سؤالًا آخر مهمًّا عن طفولة سعيد، ويسأله عن الرابط بين إدوارد الصبي الذي نشأ في مستعمرتين بمصر وفلسطين وبين الشخص الذي أصبح عليه، الأكاديمي والكاتب والمفكر والموسيقار[10]؟

يبدو سعيد شديد التقدير لوالدته ويكن لها حبًّا وامتنانًا خاصًّا، ويخبر جلاس بأن والدته كانت السبب الرئيسي لتعلقه من الطفولة بكل من اللغة والموسيقى. ويبدو أن نمط الحياة الذي أنشأته خلاله والدته شجع لديه عادة القراءة، وكذلك التواصل والطلاقة في التعبير. كان لديهم مساحة كبيرة من

10) كان إدوارد سعيد عازف بيانو بارع، ونشر بالمشاركة مع صديقه بارينبويم في سنة 2002 كتابًا عن محادثاتهم الموسيقية المبكرة بعنوان: المتشابهات والمتناقضات: استكشافات في الموسيقى والمجتمع. (المصدر: ويكيبيديا)

الوقت لممارسة ذلك، وكان ممنوع لديهم مثلًا قضاء الوقت في أمور أخرى ثانوية مثل مشاهدة الأفلام سوى مرة واحدة في الأسبوع أو مرة كل أسبوعين، ويتم ذلك مع أفلام يتم اختيارها بعناية لتناسب الأطفال.

وفيما عدا ذلك كان إدوارد الصغير يقضي وقته في المكتبة، ولذلك تمكن في وقت مبكر من قراءة كلاسيكيات الأدب الإنجليزي، مثل أعمال دانييل دافو ووالتر سكوت، وبجانب ذلك كانت والدته تقرأ له الروايات العربية التاريخية لجورجي زيدان وغيره. وأما عن الموسيقى فقد ساعدته والدته على امتلاك حس موسيقي قوي منذ مرحلة مبكرة جدًّا، ويخبر جلاس أن والدته اعتادت القول بأنه حفظ أكثر من أربعين أو خمسين ترنيمة وأغنية شعبية عندما كان عمره سنة ونصفًا أو سنتين فقط! وتخبره عن ابن عمه الذي كان يعزف الهارمونيكا أحيانًا بشكل خاطئ، فيبدأ الصغير إدوارد بالبكاء اعتراضًا على ذلك!

معروف عن سعيد امتلاكه أذنًا موسيقية قوية، وذاكرة سمعية حديدية، ويعود تقدمه في عالم الموسيقى عن أقرانه وسنوات سنه الصغيرة لنظام التربية الذي وضعته أمه، وللوقت التي كان يقضيه في المنزل في الاستماع للأسطوانات الموسيقية المتوفرة لديهم والقراءة بدلًا من تضييع الوقت في أشياء أخرى.

كانت أغلب الموسيقى التي يتم الاستماع إليها في بيت آل سعيد موسيقى كلاسيكية غربية تركت أثرًا عميقًا في نفس إدوارد، ولم يتم الاستماع للموسيقى العربية إلا نادرًا وفي مناسبات عائلية قليلة في فلسطين أو لبنان، وفي مرة وحيدة وهو في التاسعة اصطحبه أهله لحفل أم كلثوم الشهري، ولم تعجبه

الموسيقى إطلاقًا كونها مختلفة عن النمط الغربي، وذات بناء غريب، وجمل موسيقية متكررة أثارت مللَه.

يعود جلاس إلى الأفلام التي شاهدها سعيد في طفولته، ويسأله عن أفلام طرزان التي ذكرها في كتابه وخصوصًا أن تلك الأفلام كولونيالية (استعمارية)، ويسأله عن العلاقة بينها وبين كونه نشأ في بيئات تخضع للاستعمار (مصر وفلسطين).

هنا يروي سعيد لجلاس حكاية طريفة عن فرانز فانون، فانون كان طبيبًا نفسيًّا من جزر المارتنيك وذا أصول أفريقية، ويحكي أنه عندما شاهد أفلام طرزان لأول مرة في جزر المارتنيك مسقط رأسه رأى نفسه كطرزان ولم يرَ نفسه في السود من قبائل الزولو، رأى نفسه في فتى الغابة الأبيض القوي الذي يهاجمهم ويصرخ فيهم دفاعًا عن الحيوانات، لكنه عندما شاهد نفس الأفلام في باريس وسط الحضور من البيض، رأى نفسه في السود!

ويضيف سعيد لجلاس: ولأنني كنت في المستعمرات بمصر وفلسطين، فكنت أرى نفسي في الرجل الأبيض المستعمر، كنت أرى نفسي في طرزان. شيء مرعب جدًّا مدى التماهي الذي يحكي عنه سعيد مع المستعمر، بكل ألاعيبه الثقافية والإعلامية والفنية التي ينتجها ويقدمها طوال الوقت ليحسن صورته، ويضع بها نفسه مكان المثل الأعلى الذي يرغب الآخرون (الواقعون تحت الاستعمار والسيطرة) في تقليده والوصول إليه والتمثل به.

ومن أفلام الطفولة يعود جلاس للموسيقى مرة أخرى، ويتعجب كيف استطاع الصبي إدوارد أن يبني أحكامًا في هذه السن الصغيرة على أعمال موسيقيين كبار مثل فيردي[11] الذي لم يكن يحبه، وروسيني[12] الذي طالما أحبه.

فرانز فانون

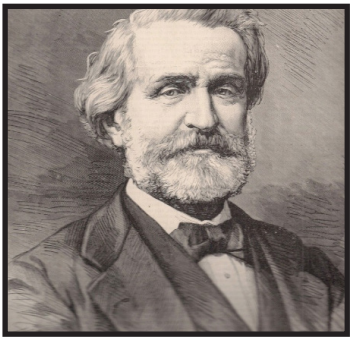

جوزبي فيردي

طرزان

11) جوزبي فيردي (بالإيطالية: Giuseppe Verdi) (1813 - 1901) هو مؤلف موسيقي إيطالي، ألف العديد من الأعمال الأوبرالية (على غرار عايدة وعُطيل)، كما كتب قُداسًا جنائزيًّا (Requiem) عام 1874م. كان له حِس طبيعي أهَّله لكتابة الأعمال المسرحية، عمل على مواصلة مسيرة مواطنيه "بليني" و"جواكينو روسيني" في ترسيخ التقاليد الأوبرالية الإيطالية في مواجهة التيار الجديد المتأثر بأعمال "ريشارد فاغنر". (المصدر: ويكيبيديا)

12) جواكينو روسيني (بالإنجليزية: Gioacchino Rossini) (مواليد بيزارو 1792 - توفي بباريس 1868) هو مؤلف موسيقي إيطالي. كتب العديد من المؤلفات الأوبرالية: السيدة الإيطالية في الجزائر ((L'italiana in Algeri 1813))؛ حلاق إشبيلية؛ عُطيل (1816 م)؛ الكونت أوري (1828 م)؛ ويليام تل (1829 م)؛ "ستابات ماتر". كان له حس فريد في اختبار من الدراسات النفسية والتشخيصات المختلفة بين الأطباء حالة الموسيقار روسيني، ففي سن السابعة والثلاثين كان قد أنهى 36 أوبرا. بالمجمل ألف 39 أوبرا و لُقب بـ (موزارت الإيطالي). (المصدر: ويكيبيديا)

يحكي البروفيسور سعيد أن سبب حبه لروسيني أنه كان يذهب كثيرًا إلى الأوبرا مع أسرته، وكان في القاهرة ما يسمى "موسم الأوبرا الإيطالية"، حيث تأتي الفرق الإيطالية من روما ونابولي وتعرض أشهر الأعمال الموسيقية، وكان نادرًا ما تلعب أعمال روسيني، وفي المرة الأولى التي شاهد فيها وسمع أوبرا "حلاق أشبيلية" The Barber of Seville وقع في حبها فورًا، وشعر بسعادة وبهجة بالغتين، كان يشعر أن هناك نوعًا من السحر يربط بين الكلمات والموسيقى (برغم كونه لا يفهم الإيطالية وقتها، لكنه تعلم كلمات الأوبرات لاحقًا)، بجانب أن المغنى "تيتو جوبي" الذي قام بدور الحلاق قد خلب لبه. أما فيردي فدائمًا ما شعر في أعماله بنوع من التزمت والوحشية المفرطين، وحتى أوبراه الشهيرة "عايدة" أصبح يكرهها.

جواكينو روسيني

وبشكل عام، أحب سعيد منذ سن مبكرة بجانب روسيني أيضًا موزارت وباخ وبيتهوفن الذي هو أحب الموسيقيين لقلبه، أما باخ فكان جزءًا من سبب صداقته وعمله مع الموسيقار دانييل بارنبويم[13]، لعشر سنوات مضت، فتح له باخ أبوابًا ضخمة في عالم الموسيقى، وكان سببًا في تطوير قدراته الموسيقية، كعازف بيانو أو متذوق لهذا الفن أو ككاتب في مجال الموسيقى.

دانييل بارينبويم

13) دانييل بارينبويم (بالإنجليزية: Daniel Barenboim) (ولد في 15 نوفمبر، 1942) هو عازف بيانو، وقائد أوركسترا. يعيش دانييل بارينبويم في برلين، ويحمل جنسيات كل من الأرجنتين، وإسرائيل، وإسبانيا، كما يحمل جواز سفر مستصدر من السلطة الفلسطينية. ولد بارينبويم في بيونس آيرس في الأرجنتين. قام والداه وكانا عازفين مرموقين للبيانو بإعطائه دروسًا في البيانو وهو في الخامسة، ثم رحلت أسرته إلى فلسطين المحتلة عام 1952م ضمن حملات تهجير اليهود إلى فلسطين، وظهر لأول مرة كعازف للبيانو في بيونس آيرس وهو في التاسعة كما قاد أول فرقة موسيقية في حيفا بفلسطين المحتلة عام 1957. واختير لقيادة حفلة رأس السنة الموسيقية في فيينا مرتين الأولى في عام 2009 والثانية عام 2014. أسس بارينبويم أوركيسترا الديوان الغربي الشرقي بالاشتراك مع الكاتب الفلسطيني الأصل أمريكي الجنسية إدوارد سعيد. (المصدر: ويكيبيديا)

يطرح جلاس هنا ملاحظة شديدة الذكاء، يسأل سعيد عن جملة كان قالها من قبل حول تجربته مع السينما عندما ذهب إليها طفلًا: "استمتعت بها لأنها منحتني حرية الرؤية دون أن أكون مرئيًّا". وعن علاقة ذلك بكونه عازفًا للبيانو وليس مؤلفًا موسيقيًّا؟ ناقدًا وليس شاعرًا أو روائيًّا؟ يسأل سعيد عن حقيقة رغبته في كونه وراء الأشياء وغير مرئي؟

وهنا يشرح سعيد فكرة شديدة الخصوصية، أنه لم يعد مهتمًّا بمسألة "الأداء" نفسها بقدر اهتمامه بمسألة "التفكير" وخصوصية أفكاره، بالتأكيد يقوم طوال الوقت بفعل الأداء في المحاضرات مثلًا أمام جمهور واسع، لكن ما يشغله أكثر هو التأمل في المنتجات الفكري، سواء كانت روايات أو موسيقى أو خلافه، واستنباط الأنماط والنماذج القابعة وراء هذا الشكل الفني أو الأدبي. وبالتالي المسألة لدى سعيد ليست مسألة كونه مرئيًّا أو خلافه، إنما هي مسألة اكتشافه لفكرة جديدة، لنمط جديد، لنموذج جديد وراء الأعمال الفكرية التي يتعامل معها ويتناولها، وهو الأمر الذي يشبع فضوله الفكري والعلمي الذاتي أكثر من مسألة اهتمامه بجذب الانتباه العام.

ويسري نفس الأمر على نشاط البروفيسور سعيد السياسي، فيذكر أنه من ناحية مواقفه وكتاباته يعتبر ناشطًا سياسيًّا، لكن ليس بالمعنى "الرسمي" للكلمة، ليس بمعنى أنه لم تكن له وظيفة سياسية رسمية أو منصب أو رتبة، وهو ما يعطيه مساحة واستقلالية أوسع. تلك الاستقلالية والحرية والمساحة الواسعة يبدو أنها أمور لا يستطيع البروفيسور الحياة بدونها.

يسأل جلاس سؤالًا آخر ممتعًا، والحقيقة أن أسئلة هذا الصحفي البارع شديدة التشويق، ومن الواضح جدًّا أنه بذل مجهودًا واهتمامًا ضخمين لتحضير وترتيب الأسئلة بناء على قراءة عميقة للأستاذ سعيد وتراثه الفكري وتجربته الحياتية. يسأل البروفيسور عن الكيفية التي ترتبط بها مجالات اهتماماته؟ ما هي الطريقة التي ارتبط بها الأدب بالثقافة بالموسيقى ... إلخ؟

يتحدث سعيد عن ارتباط غير مباشر بين تلك الأشياء، والتي يجمعها فقط فضاء مشترك، أو مجال عام، مبني على الخبرة البشرية التي تمزج كل ما يحدث حولك وتتحرك من خلاله في مزيج عام، وعلى المثقف أن يراقب كل تلك الأمور وهي تعمل معًا، وتتقاطع سويًّا، وتتفاعل وتتمازج، ثم يخرج بتفسيرات من ناحيته، تفسيرات المثقف للسياسة أو الأدب أو الموسيقى تجد أنها شديدة الصلة بالذاكرة (يعني تذكر التجارب الأخرى)، وشديدة الصلة بالتعايش (أي أن العالم ليس مجالًا حصريًّا لشيء واحد، ويمكن لأكثر من مجال وفكرة وتجربة العيش خلاله سويًّا، والكثير من الأمور التي تحدث في الوقت نفسه)، وشديد الصلة بمشيئة وإرادة الإنسان، الأمر يعود إليك في النهاية. ثم يتحدث سعيد عن النقطة الأخيرة تحديدًا، لأن معنى أن الأمر يعود للإنسان لكي يتصرف ويغير ويؤثر، يضع عليه - كإدوارد سعيد المفكر - عبء الخروج بحلول، أشخاص كثيرون يأتون إليه طالبين الحل، ما الحل؟ أعطنا خطة يا سيد إدوارد لنسير عليها! وهنا يجد نفسه أمام إشكالية، فلا يستطيع تقديم ذلك أبدًا، ولا يثق بهذا، وأعتقد أن ما يتحدث عنه أن دوره الرئيسي يكمن في التأمل وتقديم تصورات وأنماط ومفاهيم وتحليلات وتسهيل مهمة الفهم، ليستخدمها المتلقي الفعال - وليس الكسول - فيما يرغب فيه من "فعل" عائد إليه، من "حلول" يرغب في المشاركة في تقديمها وتطويرها ... إلخ.

يسأله جلاس عن المرحلة الأمريكية من حياته، متى ذهب لأمريكا؟ ولماذا؟

سافر سعيد لأول للولايات المتحدة في صيف عام ١٩٥١ (قبل حركة الثوار الأحرار في مصر بعام)، وذلك بسبب مشاكل في الدراسة، والحكاية أنه كان مشاغبًا في مدرسته بمصر "فيكتوريا كولدج"[14] (التي كان يدرس بها أيضًا الملك حسين وعمر الشريف)، وهو الأمر المثير للدهشة، كيف لهذا البروفيسور الممتلئ حكمة أن يكون بهذا القدر من "الشقاوة" في صغره، لكن في نفس الوقت أرى هذه الشقاوة بطريقة محببة لا تزال تطلع من عيني "سعيد"، وربما كان القاسم المشترك ليس المشاغبة والشقاوة بالمعنى السيئ، وإنما حب الحياة والتجريب والاستكشاف والتحدي. يحكي سعيد أنه تعرض للطرد على يد مدرس اللغة الإنجليزية في إحدى المرات، وأخبرت المدرسة والديه أن الصغير سعيد سيتم فصله تأديبيًّا لمدة أسبوعين أو ثلاثة، ثم يعود مرة أخرى لاستكمال الدراسة، لكن والديه أدركا أن أيام سعيد مع نظام التعليم البريطاني قد وصلت لنهايتها.

سعيد في طفولته

14) كلية فيكتوريا بالإسكندرية، هي أحد أقدم وأكبر المدارس الإنجليزية بمصر، حيث تبلغ مساحتها 14 فدانًا، الدراسة فيها للبنين فقط وباللغة الإنجليزية، و تقع في مدينة الإسكندرية في مصر، وتحمل اسم الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا. (المصدر: ويكيبيديا)

ولأنه يحمل الجنسية الأمريكية وراثة عن أبيه، فقد أرسله أبوه إلى الولايات المتحدة، أولًا للدراسة، وثانيًا لأنه أخبره (واتضح لاحقًا أن هذا الكلام لا محل له من الصحة) أن عليه البقاء في الولايات المتحدة خمسة أعوام متلاحقة على الأقل قبل أن يبلغ الـ ٢١ من العمر لكي يحتفظ بالجنسية الأمريكية. استغل والده علاقاته القوية لإتمام الأمر، ووجد سعيد نفسه مجبرًا في أمريكا للدراسة، ومخدوعًا كذلك، وكان الأمر قاسيًا جدًّا عليه، وكما يقول لجلاس: وها أنا ذا في أمريكا لأكثر من خمسين عامًا ولا أزال أشعر بعدم الانتماء. (وهي العبارة التي تفسر اختياره لجملة "خارج المكان" لتكون عنوانًا لمذكراته، طوال الوقت يشعر أنه لا ينتمي لمكان ما).

وفي المدرسة الأمريكية بدأت المتاعب أيضًا مع سعيد، بدءًا من الطلبة الذين كانوا يسخرون من اسمه وينطقونه Ed Said (ماذا قال إد؟).

وعلى الرغم من السخرية التي تعرض لها في مدرسة الفتيان الداخلية، فقد شق سعيد طريقه نحو التفوق في المدرسة بسرعة الصاروخ متجاوزًا أقرانه، وخصوصًا فيما يتعلق بالرياضيات والموسيقى والمسرح والأدب واللغة الفرنسية، لكنه لم يستطع تجاوز حالة الحنين لبلد والديه، ولأن يكون قريبًا من أسرته.

تحدث سعيد أيضًا عن الطبيعة الدينية للمدرسة التي كان بها، التي أسسها المبشر الكبير "إل مودي"[15]، وكان عليه القيام بالكثير من الأشياء ضد طبيعته، الذهاب للكنيسة خمس مرات أسبوعيًّا، كتابة مقالات عن "إل مودي" كنوع من التبجيل - وهو لا يجيد مثل تلك الأشياء الاصطناعية - فيكتب أشياء لا معنى لها، ويقدمها ويحصل فيها على "امتياز" أيضًا! كان يستطيع المناورة

15) دوايت إل. مودي (بالإنجليزية: Dwight Lyman Moody) هو كاتب وفيلسوف أمريكي، ولد في 5 فبراير 1837 في نورثفيلد في الولايات المتحدة، وتوفي بنفس المكان في 22 ديسمبر 1899. (المصدر: ويكيبيديا)

والوصول لأهدافه ببراعة. وحتى أثناء إقامته مع عائلته المتدينة كان الشيء الوحيد الذي يلفت نظره في الكنيسة هو الترانيم، ليس من الناحية اللاهوتية، ولكن من ناحية صوتية جمالية محضة.

دوايت إل. مودي

ثم يتحدث مرة أخرى عن معاناته وغربته، وخصوصًا أثناء الإجازات الطويلة، حيث يفتقد غرفته وأهله، ويفتقد حتى اللسان العربي الذي لا يسمعه إطلاقًا في أمريكا، ويتكلم عن دور ذلك في شيء شديد الأهمية: فقد تحول سعيد إلى شخصيتين، شخصية سعيد الطالب الذكي جدًّا، الذي يقوم بالأمور بحرفية عالية وبدون اكتراث وبشعور بالتعاسة في نفس الوقت، وسعيد الذي قرر تطوير شخصية أخرى جديدة تخصه هو فقط، تقضي الوقت في الأمور التي تشغله ويستمتع بها، مثل الفلسفة على سبيل المثال،

وكانت المدرسة قد ساعدته في التعرف على الفيلسوف "سورين كيركغور"[16]، والتعمق أكثر مع أفلاطون[17].

سورين كيركغور

16) سورين كيركغور (باللغة الدنماركية: Søren Kierkegaard، ويُكتَب بالعربية أيضًا كيركيغارد أو كيركغارد أو كيركجارد أو كيركيجارد)؛ (5 مايو 1813م - 11 نوفمبر 1855م)، سورين أباي كيركغور أو كيركغارد (5 مايو -1813 11 نوفمبر 1855) هو فيلسوف دنماركي، ولاهوتي، وشاعر، وناقد اجتماعي، ومؤلف ديني، ويُعتبر على نطاق واسع أول فيلسوف وجودي. كتب نصوصًا نقدية حول الدين المنظم، والمسيحية، والأخلاق، وعلم النفس، وفلسفة الدين، مظهرًا في ذلك حبًّا للاستعارات والسخرية والأمثال. يتعامل الكثير من أعماله الفلسفية مع القضايا التي تناقش كيف يعيش المرء «كفرد منفرد»، مع إعطاء الأولوية للواقع الإنساني الملموس على التفكير المجرد وإبراز أهمية الاختيار الشخصي والالتزام. كان ضد النقاد الأدبيين الذين حددوا المثقفين والفلاسفة المثاليين في عصره، واعتقد أن الباحثين فهموا هؤلاء الفلاسفة: سفيدنبوري، وهيجل، وفيشته، وشيلن، وشليجل بشكل أسرع من اللازم. (المصدر: ويكيبيديا)

17) أفلاطون (باللاتينية: Plato) (باليونانية: Πλάτων) (عاش 427 ق.م - 347 ق.م) هو أرستوكليس بن أرستون، فيلسوف يوناني كلاسيكي، رياضياتي، كاتب لعدد من الحوارات الفلسفية، ويعتبر مؤسس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي، معلمه سقراط وتلميذه أرسطو. وضع أفلاطون الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم، كان تلميذًا لسقراط، وتأثر بأفكاره كما تأثر بإعدامه الظالم. ظهر نبوغ أفلاطون وأسلوبه ككاتب واضح في محاوراته السقراطية (نحو ثلاثين محاورة) التي تتناول مواضيع فلسفية مختلفة: نظرية المعرفة، المنطق، اللغة، الرياضيات، الميتافيزيقا، الأخلاق والسياسة. (المصدر: ويكيبيديا)

وعلى الرغم من تفوقه على أقرانه، كان هناك داخله دومًا صراع بين شعوره بالثقة، وبين شعوره بالإهمال والتهميش نتيجة وحدته وبعده عن أهله. وعزز والده هذا الشعور أيضًا لديه بشكل ما، فمثلًا عندما حضر حفل تخرجه من المدرسة عام ١٩٥٣ وقد كان سعيد الأول أو الثاني ترتيبًا على فصله، كان سؤال والده الأول للمدرسين: "كيف أبلى إدوارد؟" وكانت الإجابة: "لقد أبلى بشكل جيد"، وهنا سأل الأب مرة أخرى: "حسنًا، ولكن هل قدم أفضل ما لديه؟" هذا التشكك - غير المقصود - كان مصاحبًا دائمًا للأب من ناحية الابن، أن هناك "شيئًا" ما ناقص، "شيئًا" ما كان يمكنه تقديمه، وهو ما أدى لشعور سعيد الدائم بالتقصير، ويصف ذلك الشعور المؤلم وقتها بأنه أفاده على المدى الطويل، وعلمه ألا يرتكن على إنجازات معينة تشعره بمضي الوقت بضعف العزيمة.

ظل سعيد في المدرسة الداخلية، كان متاحًا له الخروج يوم السبت فقط، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية انتقل إلى جامعة برينستون، وظل يقضي أغلب وقته داخل المنشآت (التي كانت في تلك الأوقات تحتوى مباني منفصلة، للفتيان والفتيات) يمارس ما يحب من أمور تخص القراءة والموسيقى خارج نطاق دراسته. وحول إحساسه مع الراحة داخل المنشآت يحكي قصة طريفة جدًّا، ففي عام ١٩٩٢ دعته القيادة المركزية للجيش الأمريكي لإلقاء خطاب في مدينة تامبا بولاية فلوريدا (جنوب شرق الولايات المتحدة) عن رؤيته حول حرب الخليج[18]، وعلى الرغم من اختلافه مع سياسات الولايات المتحدة بهذا

18) حرب الخليج الثانية، أو أم المعارك، أو حرب تحرير الكويت وأطلق عليها عسكريًّا أيضًا اسم عملية درع الصحراء (للمرحلة من 7 أغسطس 1990 وحتى 17 يناير 1991) ثم عملية عاصفة الصحراء (للمرحلة من 17 يناير إلى 28 فبراير 1991)، هي حرب شنتها قوات التحالف المكونة من 34 دولة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ضد العراق بعد أخذ الإذن من الأمم المتحدة لتحرير الكويت من الاحتلال العراقي. (المصدر: ويكيبيديا)

الشأن وفكرة شن حرب على الشعب العراقي المأزوم، فإنه فضل المواجهة خلال الخطاب وطرح وجهة نظره المنهاضة للحرب مباشرة، المهم، رجوعًا للنقطة الأساسية، قابل سعيد هناك أحد زملائه في جامعة برينستون، وكان قد مضى على آخر لقاء لهما ٤٠ عامًا، وجده وقد صار جنرالًا في المارينز (مشاة البحرية) ومسئولًا عن أسطول المحيط الهادي بأسره، وكان قد قدم خصيصًا من هاواي (حيث مقر القيادة) لسماع خطاب سعيد. وهنا يعرض سعيد وجهة نظره المثيرة للاهتمام، شعر خلال لقائه بالرجل بإعجاب شديد للجيش كـ "مؤسسة" تهتم بأعضائها، فصديقه هذا ليس عليه أن يهتم بملابسه أو كيها أو غسلها، لأن هناك من يهتم له بذلك، صديقه ذلك أتى للمحاضرة بطائرة أقلته وستعيده، وكذلك أتى بصحبة مساعد (كولونيل) يحمل حقيبته وجميع متعلقاته وكروته الشخصية ... إلخ. كان هذا مدهشًا بالنسبة لسعيد، فكرة أن تعتني بك مؤسسة وتوفر لك قسطًا من الاستقرار بحيث تقوم أنت بالتركيز على عملك وما هو أكثر أهمية، وبالتالي ففكرة المنشآت وفكرة المؤسسات كانت بالنسبة له طوال حياته مصدر ترحيب.

كارثة عربية مفزعة !
القوات العراقية تغزو الكويت وتسيطر على العاصمة وتحتل قصر الأمير
عملية الغزو بدأت فجر أمس بالدبابات والمصفحات وتحت غطاء جوى
مبارك يتصل بأمير الكويت ونهد والأسد وحسين وصالح لبحث الموقف
توقع عقد قمة عربية طارئة خلال يومين فى القاهرة

حرب الخليج الثانية

يبدأ جلاس في طرح سؤال آخر عميق حول شخصية سعيد، يسأل البروفيسور عن فكرة "الانسلاخ" الدائم المصاحب لحياة سعيد، كونه انسلخ من المذهب الأرثوذكسي[19]، وانفصل عن فلسطين عام ١٩٤٨، وانفصل عن عائلته في القاهرة عام ١٩٥١ ... إلخ. ويسأله عن أين ذهب ليكتسب الدعم والصحبة في العالم الجديد الذي راح إليه بعد كل هذه الانفصالات؟ وخصوصًا أن قاطني الشرق الأوسط ينظرون لأنفسهم دائمًا كجزء من مجتمع أو عائلة أو ديانة ... إلخ، أكثر من كونهم أفرادًا.

وهنا يشرح البروفيسور سعيد رؤيته لمفهومين مختلفين، مفهوم "البنوة" أو الانتساب للأهل والأب والأم والجماعة، والذي يرثه الفرد دون إرادة منه، وهو الأمر الذي كان سعيد يعمل في اتجاه عكسه تمامًا، في اتجاه الاستقلالية وامتلاك الحياة الخاصة. والمفهوم الآخر مفهوم "الانتساب"، أي أن يكون لديك الإرادة الحرة لتكوين وتطوير علاقات إنسانية وفكرية جديدة تكون أنت متحكم بها، وراضٍ عنها. وهو ما كان يفعله سعيد طوال الوقت عبر تكوين شبكة علاقات مع أشخاص وجهات مختلفة معه في التفكير تمامًا، وهو أمر كان ممتعًا جدًّا، ومهمًّا بالنسبة له. ومن هؤلاء المفكر "إقبال أحمد"[20]

---

19) الأَرْثُوذُكْس هي كلمة مشتقة جزؤها الأول من كلمة أرثوذ، وأصلها من اللغة اليونانية وتعني ("الصواب" أو "الصحيح" أو "قويم") وجزؤها الثاني من كلمة دوكسا (doxa) التي تعني ("الرأي" أو "الاعتقاد"، وترتبط بكلمة دوكين ومعناها "يُفكر")، وتُستخدم بصفة عامة للإشارة إلى الالتزام بالأعراف المتفق عليها، ولا سيما إلى العقيدة الدينية المرتبطة بالديانات. ويعني المفهوم الضيق للمصطلح "الالتزام بالعقيدة المسيحية كما مثلتها المذاهب في الكنيسة القديمة". (المصدر: ويكيبيديا)

20) يُعد إقبال أحمد أحد أكثر المحللين المعادين للإمبريالية نباهة في قارتي آسيا وأفريقيا، ولقد مات عن عمر ناهز 66 عامًا في إسلام أباد، على أثر إصابته بسرطان القولون. وللرجل حضور كاريزمي هائل، بفضل اعتزازه بالمثل والقيم النبيلة، إضافة إلى قدراته المدهشة كمتحدث ومحاضر. (المصدر: mokarabat.com)

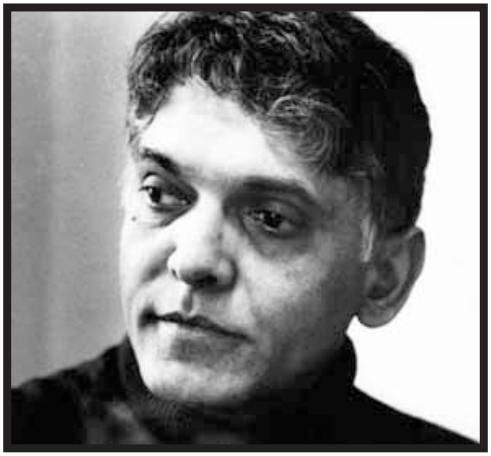

إقبال أحمد

وهو الذي ولد في الهند ثم أصبح باكستانيًّا فيما بعد[21] وعاش في الولايات المتحدة الأمريكية، وعرف بنقده اللاذع للإمبريالية الأمريكية ووصفه سعيد نفسه بأنه "رجل استثنائي للغاية"، وأنه "أفضل وأمهر وأذكى مُحلل للسياسة المُعاصرة"[22]. وكذلك الفيلسوف الإيطالي "فيكو" الذي عاش في القرن الثامن عشر الذي يصفه البروفيسور بأنه صاحب أقوى تأثير فكري على حياته. كذلك "كونراد" الروائي الإنجليزي. ويصف سعيد كل هؤلاء بأنهم كانوا أشخاصًا بغيضين طوال حياتهم، لكن ذلك لم يمنعه من إقامة صلات مع أعمالهم وأفكارهم وفلسفاتهم، وهو الأمر الذي يهمه أكثر من الاحتفاء بصلات عادية متوارثة مع أشخاص يقبلهم المجتمع. كذلك لا يشغل نفسه بأن يحيط ذاته بأشخاص يشبهونه، أو ذوي خلفية مشابهة لخلفيته، وكأنه يقول إنه لا يرغب

21) انفصلت باكستان عن الهند عام ١٩٤٧ لتصبح جمهورية إسلامية منفصلة، وفي عام ١٩٧١ وبعد الحرب الأهلية، انفصلت عنها بنجلاديش لتصبح أيضًا دولة مستقلة. (المحرر)

22) (المصدر: موقع يقظة فكر)

في أن يضعف نفسه فيما يسمى "غرفة صدى" Echo Chamber، مثل السوشيال ميديا حاليًّا، حيث نردد كلنا نفس الكلام، ونسمع أشخاصًا يرددون آراءً مشابهة، ونحيط أنفسنا بأصدقاء لهم نفس التوجهات ... إلخ. وقليل منا يتشجع ويهرب خارج تلك الغرفة ليصطدم بآراء جديدة وسرديات مختلفة تعطينا دروسًا جديدة في الحياة.

ويشبه إدوارد سعيد حاله بما وصفه الشاعر الإنجليزي "جيرارد مينلي هوبكينز" في واحدة من قصائده البديعة،All things counter، original، spare[23]، وأنه دائمًا ما يبحث عن الأصالة في الأشياء، وبدلًا من أن يقوم بترتيب الأشياء جنبًا إلى جنب باحثًا عن نقاط التشابه، دائمًا ما يبحث عن نقاط الاختلاف والتباين. ومن هنا يخرج بوجهات نظر جديدة وطازجة دائمًا.

23) Glory be to God for dappled things –
For skies of couple-colour as a brinded cow;
For rose-moles all in stipple upon trout that swim;
Fresh-firecoal chestnut-falls; finches' wings;
Landscape plotted and pieced – fold، fallow، and plough;
And áll trádes، their gear and tackle and trim.

All things counter، original، spare، strange;
Whatever is fickle، freckled (who knows how?)
With swift، slow; sweet، sour; adazzle، dim;
He fathers-forth whose beauty is past change:
Praise him.

عن القصيدة يشرح صديقي المترجم "أحمد عادل":
من فهمي المتواضع هوبكينز يشير لقائمة من الأشياء بصفاتها بدلًا من أسمائها، غريبة متفردة نادرة، غير ثابتة الحال وبتجمع بعض النقائض في خصائصها، ويتعجب من بديعية وجودها وفعل إيجادها على يدي الرب خالق العالم، دائم وثابت العظمة (والجمال) رغم تغير أحوال وأشكال خليقته وصنيعته طوال الوقت، وبالتالي، فالتمجيد له والشكر.

ثم ينتقل جلاس لمساحة جديدة من النقاش، ويسأل إدوارد سعيد عن مفتاح منزلهم القديم بفلسطين، وإن كان يحتفظ به!

القصة أن الفلسطينيين منذ النكبة احتفظوا بمفاتيح منازلهم التي تركوها وراءهم لاجئين لمناطق أخرى، على أمل أن يرجعوا لبيوتهم مرة أخرى. عشرات السنين مضت والمفاتيح تحتفظ بها العائلات وتورِّثها لأولادهم وأحفادهم. يجيب سعيد بأنه لا يحتفظ بالمفتاح، ولا يعلم إن كانت عائلته احتفظت بمفتاح بيتهم. وكان سعيد قد ولد في القدس بفلسطين في ١ نوفمبر ١٩٣٥ في حي الطالبية، أحد الأحياء المسيحية القديمة بالمدينة العتيقة.

لكنه عندما عاد لفلسطين عام ١٩٩٢ كان معه سند الملكية الخاصة بالبيت -أرسلته له ابن عمته يوسف الذي يعيش في تورنتو بكندا، كما وصف له مكان البيت ورسم له خريطة للوصول إليه- وأعد نفسه نفسيًّا لمواجهة الإسرائيليين الذين توقع أن يكونوا استولوا على البيت ويعيشون فيه، لكنه اكتشف أن المنزل، الذي احتفظ بنفس تفاصيله تمامًا لدرجة أنه رأى من الخارج الغرفة التي ولد بها وكأن الزمن لم يمر عليها، تحول إلى مكتب لمنظمة مسيحية صهيونية، ووجد على الباب لافتة بعنوان: "مكتب السفارة المسيحية الدولية"، وعندما سألته ابنته "نجلاء": ألن تدخل يا أبي؟" وجد نفسه وقد فقد الرغبة في ذلك تمامًا. هذا المنزل قام الفيلسوف اليهودي "مارتن بوبر" باستئجاره من عائلة سعيد أثناء الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين وعاش فيه، وفكر فيه، وكتب فيه.

كانت مشاعر الرعب والذعر من مجازر الإسرائيليين (مثل مذبحة دير ياسين[24]) والعنف الممارس ضد الفلسطينيين العزل من أهم أسباب مغادرة أقارب سعيد ومن على شاكلتهم لبيوتهم، قاموا في البداية بإرسال النساء والأطفال لمناطق آمنة، وحاول الرجال أن يبقوا في المنازل لأطول فترة ممكنة، لكن العنف الإسرائيلي لم يسمح لهم بذلك طويلًا، واضطروا للمغادرة في النهاية، وهو الأمر الذي أورثهم مرارة وخزيًا صاحبهم طوال العمر.

24) مذبحة دير ياسين في قرية دير ياسين، التي تقع غربي القدس في 9 أبريل عام 1948 على يد الجماعتين الصهيونيتين: أرجون وشتيرن. أي بعد أسبوعين من توقيع معاهدة سلام طلبها رؤساء المستوطنات اليهودية المجاورة، ووافق عليها أهالي قرية دير ياسين. وراح ضحية هذه المذبحة أعداد كبيرة من السكان لهذه القرية من الأطفال وكبار السن والنساء والشباب. عدد من ذهب ضحية هذه المذبحة مختلف عليه، إذ تذكر المصادر العربية والفلسطينية أن ما بين 250 إلى 360 ضحية تم قتلها، بينما تذكر المصادر الغربية أن العدد لم يتجاوز 109 قتلى. كانت مذبحة دير ياسين عاملاً مهمًّا في الهجرة الفلسطينية إلى مناطق أُخرى من فلسطين والبلدان العربية المجاورة؛ لما سببته المذبحة من حالة رعب عند المدنيين. ولعلَّها الشعرة التي قصمت ظهر البعير في إشعال الحرب العربية الإسرائيلية في عام 1948. وأضافت المذبحة حِقدًا إضافيًّا على الحقد الموجود أصلاً بين العرب والإسرائيليين. (المصدر: ويكيبيديا)

مجزرة دير ياسين

مجزرة دير ياسين

يحاول جلاس الآن أن يأخذ سعيد لمنطقة أخرى، ويبدأ في الحديث عن عمل سعيد وكتبه الأولى، ويسأله عن كتابه الأشهر "الاستشراق"[25]، وردة الفعل التي تلقاها عن الكتاب.

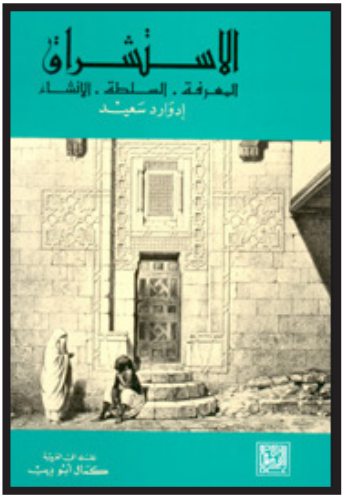

غلاف كتاب "الاستشراق"

25) الاستشراق Orientalism كتاب ألفه إدوارد سعيد عام 1978م، ويتناول جملة المؤلفات والدراسات والمفاهيم الفرنسية والإنجليزية، وفي فترة لاحقة الأمريكية، عن الشرق الأوسط، والتي يجزم البروفيسور سعيد أنها السبب الرئيسي في الشرخ الحاصل بين الحضارة الغربية والشرق أوسطية. أثار الكتاب بمجرد صدوره لأول مرة في الولايات المتحدة الكثير من الاهتمام العالمي وتناوله الكثير من المؤسسات الأكاديمية في العالم بالنقاش، وترجم إلى العديد من اللغات. اعتبره إدوارد سعيد الكتاب الأول في سلسلة من ثلاث كتب تتناول العلاقة بين العالمين الغربي والعربي، والكتابان الآخران هما: القضية الفلسطينية، وتغطية الإسلام. (المصدر: ويكيبيديا)

يجيب سعيد بأن اهتمامه بالاستشراق جاء مع حرب أكتوبر عام ١٩٧٣. كان في فترة هزيمة ١٩٦٧ وما بعدها يعيش في نيويورك، وكان هناك شعور عارم بضعف العرب وانهزامهم، يقول إنه في بعض الحفلات التنكرية في ذلك الوقت كان يمكن أن تكون التيمة العامة هي "العربي المهزوم" حيث يرتدي ضيوف الحفل الزي العربي، ويمشي كل منهم حافي القدم رافعًا ذراعيه علامة الاستسلام! وفي نفس الوقت هناك تضخيم لحجم القوة والعظمة الإسرائيلية. ثم حدث الانفجار الأسطوري في قدرة وإرادة العرب مع عبور قناة السويس على يد القوات المصرية، والتقدم في مرتفعات الجولان في نفس التوقيت على يد القوات السورية. ومن هنا جاء اهتمام سعيد بالصور الذهنية المرتبطة بالعرب في الثقافة الغربية، ومما أثار انتباهه مثلًا -كمادة استشراقية- ذكر دانتي أليجري في "الكوميديا الإلهية"[26] للنبي محمد (عليه الصلاة والسلام) واتهامه بأنه دجال، ووضعه في المرتبة الثامنة من الجحيم!

26) الملهاة الإلهية أو الكوميديا الإلهية (بالإيطالية: Divina Commedia) هي شعر ملحمي ألفه دانتي أليجيري بين 1308 حتى وفاته عام 1321. تعد الكوميديا الإلهية العمل الرئيس لدانتي، وهي من أهم وأبرز الملحمات الشعرية في الأدب الإيطالي، ويرى الكثيرون أنها من أفضل الأعمال الأدبية في الأدب على المستوى العالمي. تحتوي الملحمة الشعرية على نظرة خيالية بالاستعانة بالعناصر المجازية حول الآخرة بحسب الديانة المسيحية، وتحتوي على فلسفة القرون الوسطى، كما تطورت في الكنيسة الغربية (الكاثوليكية الرومانية). تنقسم الكوميديا الإلهية إلى ثلاثة أجزاء: الجحيم، المطهر، والجنة. (المصدر: ويكيبيديا)

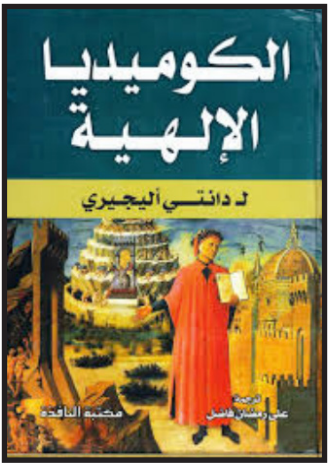

ومن هنا بدأ سعيد في الكتابة عن الأمر، وكانت خطته إنجاز كتاب صغير، لكن سرعان ما تطور وأصبح عملًا كبيرًا يمثل ما يشبه التاريخ الكامل لتصور "الآخر". ومن المفارقات أنه عُرض على سعيد في البداية عقد لنشر الكتاب بمبلغ ٢٥٠ دولارًا فقط! لكنه بعد أن أمضي سنة كاملة في ستنافورد متفرغًا للكتاب، وبعد أن أصبح المشروع ضخمًا وذا أبعاد أكبر، قابله ناشر آخر وعرض عليه مبلغًا طائلًا بالمقارنة بالـ ٢٥٠ دولارًا الأولى. ثم امتد عمل سعيد عامًا آخر ليشمل الكتاب الصور التمثيلية الغيرية، ليس فقط عن العرب، ولكن أيضًا ليضم أجناسًا أخرى مثل الصينيين والهنود والأفارقة واللاتينيين، وكل من عانى من القمع، وكذلك قدم للتكتيكات التي مارستها الدول الاستعمارية لفرض السيطرة على المستعمرات.

لم يتوقع سعيد رد الفعل والترحيب الواسع والنقاش الضخم الذي خلقه الكتاب، وعمومًا شعر بأن استقبال الكتاب يمكن أن يوصف بأنه "جيلي"

بشكل ما، فكثيرون من الجيل الكبير شعروا لحد ما بالاستياء، لأن مسألة "الاستشراق" بالنسبة لهم هي مسألة "مبجلة"، ومثلًا فالمستشرق "برنارد لويس"[27] كتب مقالًا من ١٥ ألف كلمة في جريدة "نيويورك ريفيو" للهجوم على سعيد والكتاب، (وهذا ليس تعميمًا، فالعديد ممن ينتمون لهذا الجيل دعموا الكتاب، وخصوصًا مع المجهود الذي قام به مجايلوهم مثل هاورد زن[28] ونعوم تشومسكي[29] في مجال منهاضة الإمبريالية والغزو الثقافي ومعارضة حرب فيتنام على سبيل المثال). أما جيل الشباب فكانت ردة فعلهم مثيرة لاهتمام سعيد، فوجد أن لديهم حساسية شديدة تجاه موضوع الاستشراق، والاهتمام بالكتاب والمواضيع التي يطرحها، لدرجة أن منظمة مثل مركز دراسات الشرق الأوسط MESA أصبح الكتاب خلال سنوات من صدروه كما لو كان بيانهم الرسمي.

الملاحظة الأخرى التي يطرحها سعيد هي ردة الفعل في العالم العربي، التي جاءت لحد ما سطحية، حيث اعتقد الكثيرون أن الكتاب -وكتاب آخر صدر

27) برنارد لويس، بالإنجليزية Bernard Lewis: (من مواليد 31 مايو 1916، لندن) أستاذ فخري بريطاني أمريكي لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون. وتخصص في تاريخ الإسلام والتفاعل بين الإسلام والغرب، وتشتهر خصوصًا أعماله حول تاريخ الدولة العثمانية. لويس هو أحد أهم علماء الشرق الأوسط الغربيين الذين طالما سعت إليهم السياسة. (المصدر: ويكيبيديا)

28) هوارد زن، بالإنجليزية: Howard Zinn (24 أغسطس 1922 - 27 يناير 2010) مؤرخ أمريكي، ناقد اجتماعي وسياسي عالمي. ولد لأبوين يهوديين. تدمج فلسفة زن بين الفكر الماركسي والاشتراكية والديمقراطية الاجتماعية. وكان حتى وفاته من أبرز المدافعين عن الحقوق المدنية والحركات المناهضة للحرب منذ الستينيات. ألف ما يزيد عن 20 كتاباً من أكثرها انتشاراً كتاب تاريخ الولايات المتحدة، وهو كتاب ما زال يطبع منذ عقود، وقد بيع منه أكثر من مليون نسخة. (المصدر: ويكيبيديا)

29) نعوم تشومسكي، بالإنجليزية Noam Chomsky: هو أستاذ لسانيات وفيلسوف أمريكي إضافة إلى أنه عالم إدراكي وعالم بالمنطق ومؤرخ وناقد وناشط سياسي. وهو أستاذ لسانيات فخري في قسم اللسانيات والفلسفة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، والتي عمل فيها لأكثر من 50 عامًا، وقد وُصف تشومسكي بالشخصية الثقافية البارزة، حيث صُوت له كـ "أبرز مثقفي العالم" في استطلاع للرأي عام 2005. (المصدر: ويكيبيديا)

بعده بعنوان تغطية الإسلام[30]- يدافعان عن الإسلام، ويتحدثان عن صورة الإسلام الحقيقية، وهو أمر مخل بالموضوع الرئيسي الأشمل والأوسع الذي يتحدث عن الرؤية الغيرية الفوقية للمستعمر التي تهدف لتحقيق مصالح وإخضاع الشعب الذي يقع عليه الاستعمار. وقال إنه ليس على المرء أن يكون شرقيًّا ليكتب عن الاستشراق، وأشار إلى أن ظاهرة الهيمنة الغيرية موجودة عبر التاريخ والجغرافيا، مثلًا اليونانيون كانت هناك حضارات تراهم كشعب بربري طوال الوقت!

برنارد لويس

30) تغطية الإسلام Covering Islam هو كتاب لإدوارد سعيد صدر سنة 1981 عن دار Routledge &Kegan Paul حول نظرة العالم الغربي للإسلام، ووصفه إدوارد سعيد بأنه الجزء الثالث لكتابه الاستشراق والقضية الفلسطينية، والذي يحاول من خلاله رصد العلاقة بين العالم الغربي والعالم العربي. يتعامل الكتاب مع قضايا خلال وبعد أزمة رهائن إيران، وكيف زيفت وسائل الإعلام الأمريكية الحقائق عن الحياة الإسلامية، ليناقش العلاقة بين السلطة والمعرفة ووسائل الإعلام الغربية. (المصدر: ويكيبيديا)

نعوم تشوموسكي

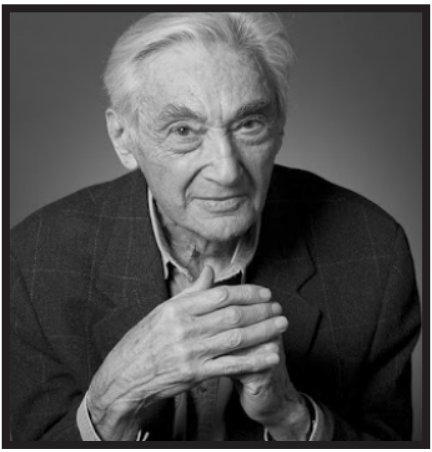

هوارد زن

منذ وقت مبكر والشرق يتم تصويره كمكان للعجائب والغرائب، مثلما صوره مثلًا الرحالة ماركو بولو [31]، ثم تم تصويره كمكان للهرطقة والردة عن المسيحية (مع انتشار الإسلام)، ثم اتخذ الاستشراق شكلًا علميًّا فقط لأول مرة مع غزو نابليون لمصر عام ١٧٩٨ واصطحابه لفريق كامل من العلماء في مجالات شتى مثل الآثار والأحياء والأنثروبولوجيا واللغة، مما مكنهم من إنتاج سفر ضخم للغاية يوثقون فيه الحياة في "الشرق" تحت عنوان "وصف مصر"[32]، وهو ما نقل الاستشراق من منطقة خيالات وتصورات لمنطقة علم ووقائع وتوثيق ورفع حقائق. لدرجة أن الحملة كان من نتائجها المباشرة فك رموز حجر رشيد وفتح مغاليق اللغة المصرية القديمة.

31) ماركو بولو (بالإيطالية: Marco Polo، ولد في 15 سبتمبر 1254م في البندقية، إيطاليا وتوفي في 8 يناير 1324م في البندقية) هو تاجر ومستكشف من البندقية كان هو وأبوه نيكولو وعمه مافيو أول الغربيين الذين سلكوا طريق الحرير إلى الصين -والتي أطلق عليها اسم كاثاي- وكانت له علاقات دبلوماسية مع قوبلاي خان أكبر ملوك إمبرطورية المغول وحفيد جنكيز خان. وقد دون رحلاته في كتابه إل ميليوني -وهو تصغير إيميليوني، اسم الشهرة لعائلة بولو- والذي يدعى أيضًا رحلات ماركو بولو. (المصدر: ويكيبيديا)

32) وصف مصر (بالفرنسية: Description de l'Egypte) عبارة عن 20 مجلدًا بعنوان "وصف مصر أو مجموع الملاحظات والبحوث التي تمت في مصر خلال الحملة الفرنسية"، تمت كتابتها وتجميعها إبان الحملة الفرنسية على مصر، حيث اصطحب نابليون بونابرت معه فريقًا من العلماء من كافة التخصصات ليسجلوا ملاحظاتهم. بعد عودة الفريق إلى فرنسا قام وزير الداخلية الفرنسية آنذاك جان انطوان شبتال وبالتحديد في 18 فبراير 1802 بتنظيم تشكيل لجنة بين أعضاء فريق العلماء والملاحظين، فتشكلت لجنة من ثمانية أعضاء قامت بجمع ونشر كل المواد العلمية الخاصة بالحملة، والتي كانت عبارة عن 10 مجلدات للوحات، منها 74 لوحة بالألوان، وأطلس خرائط، وأخيرًا، 9 مجلدات للدراسات. وتسجل تلك المجلدات، سواء لجودة طباعتها، أو لجمال رسومها (حيث يصل أكبرها إلى 1 م × 0.81 م)، كأحد الأعمال التاريخية، في الفترة من 1809 حتى 1828. (المصدر: ويكيبيديا)

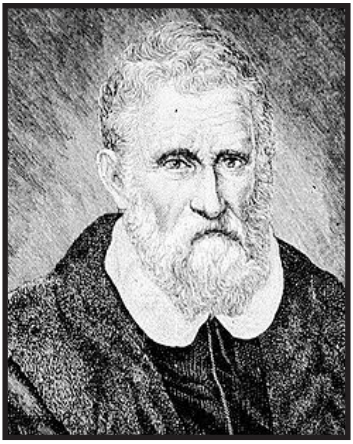

ماركو بولو، بالإيطالية: Marco Polo

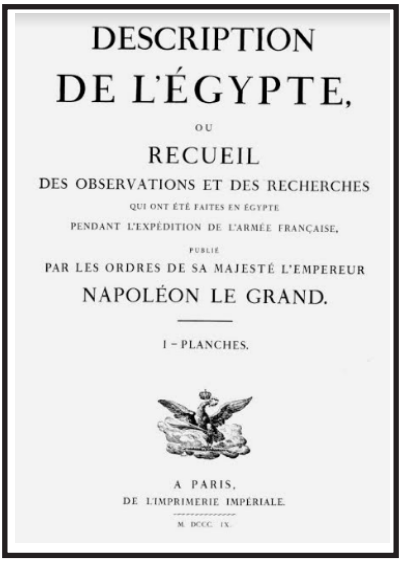
DESCRIPTION
DE L'ÉGYPTE,
OU
RECUEIL
DES OBSERVATIONS ET DES RECHERCHES
QUI ONT ÉTÉ FAITES EN ÉGYPTE
PENDANT L'EXPÉDITION DE L'ARMÉE FRANÇAISE,
PUBLIÉ
PAR LES ORDRES DE SA MAJESTÉ L'EMPEREUR
NAPOLÉON LE GRAND.
I – PLANCHES.
A PARIS,
DE L'IMPRIMERIE IMPÉRIALE.
M. DCCC. IX.

وصف مصر

ويخبر إدوارد سعيد بأمر شديد الطرافة بخصوص كتاب وصف مصر، يدخل في صلب رؤيته ونقده لموضوع "الاستشراق"، فيقول إنه عندما قرأ كتاب الشاعر الفرنسي العظيم جيرارد نيرفال "رحلة إلى الشرق" عن سفرته لسوريا عام ١٨٤٨ شعر سعيد بالاستغراب الشديد، لأنه أحس وكأن نيرفال يتحدث عن سوريا أخرى غير التي يعرفها، ثم فطن سعيد للأمر، لقد كان نيرفال يصف مصر! لقد قرأ وتشرب كتاب "وصف مصر" لدرجة أنه أسقط كل الوصف والتفاصيل على السوريين وعلى مناطق وعادات وشخوص سوريا! لقد قدم رؤية غير حقيقية، بناء على استعداد لتبني رؤية غيرية مسبقة ومعلبة استبطنها من قبل وتشبع بها.

شخص آخر مثل "لورد كرومر"[33] المندوب السامي في مصر، والذي خدم قبل ذلك في الهند، يضع رؤية واحدة وغامضة وسطحية للشرقيين: عجازى عن التفكير، لا يستطيعون البقاء في خط مستقيم أثناء السير، متخلفون يكرهون المشي على الأرصفة، ملاوعون ويكرهون قول الحقيقة!

يرى سعيد أن جذور الاستشراق قادمة من شعور المستعمر من أهمية معرفة الشعوب المستعمرة أو التي يخطط لاستعمارها، لضمان السيطرة

33) لورد كرومر إفلين بارنك، إيرل كرومر الأول Evelyn Baring، 1st Earl of Cromer و. 26 فبراير 1841- 29 يناير 1917 كان رجل دولة ودبلوماسيًا وإداريًا بمستعمرات بريطانية. وكان من كبار دعاة التغريب والاستعماريين في العالم الإسلامي وواحدًا من الذين وضعوا مخطط السياسة التي جرى عليها الاستعمار ولا يزال، في محاولة القضاء على مقومات العالم الإسلامي والأمة العربية.

وتمثل كتاباته في تقاريره وفي كتابه (مصر الحديثة) خطة عمل كاملة وأيديولوجيا شاملة للقضاء على مقومات الفكر العربي الإسلامي وتمزيق وحدة العالم الإسلامي، ومقاومة القيم والمفاهيم العربية والإسلامية. ولقد أمضى لورد كرومر في مصر ما لا يقل عن ربع قرن قابضًا على زمام السلطات (1906-1882) وأتيح له قبل أن يقضي وقتًا في الهند، درس خلالها مناهج الاستعمار البريطاني هناك، وقد عمل أول مرة في مصر مندوبًا لصندوق الدين المصري 1877، ثم ما لبث أن عين بعد الاحتلال البريطاني مباشرة مندوبًا ساميًا، ومعتمدًا لبريطانيا. (المصدر: ويكيبيديا)

والهيمنة عليها، هناك ربط مباشر لمسألة "العلم/المعرفة" و"السيطرة/السلطة"، لدرجة أنه لاحظ مثلًا أنه في رواية "كيم" لروديارد كبلينج، والتي تدور في الهند الواقعة تحت الاستعمار البريطاني، أن أحد الشخصيات الرئيسية في الرواية كان العقيد "كريتون"، وهو مدير المخابرات الهندية من ناحية، وفي نفس الوقت عالم أنثروبولوجيا! وقد شرح فوكو[34] باستفاضة هذه العلاقة بين المعرفة والسلطة.

لورد كرومر

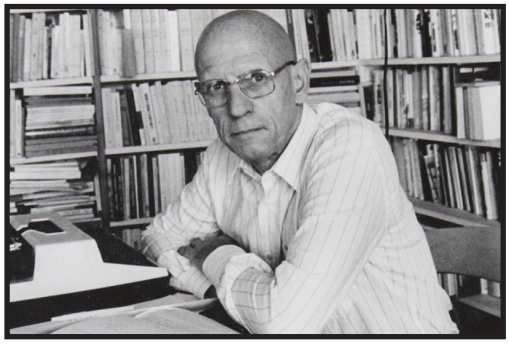

ميشال فوكو

34) ميشال فوكو (1926 - 1984) فيلسوف فرنسي، يعتبر من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين، تأثر بالبنيويين ودرس وحلل تاريخ الجنون في كتابه "تاريخ الجنون"، وعالج مواضيع مثل الإجرام والعقوبات والممارسات الاجتماعية في السجون. ابتكر مصطلح "أركيولوجية المعرفة". أرَّخ للجنس أيضًا من "حب الغلمان عند اليونان" وصولًا إلى معالجاته الجدلية المعاصرة كما في "تاريخ الجنسانية". (المصدر: ويكيبيديا)

نفس النمط تجده مع الأمريكان مثلًا، ويضرب مثلًا بدخول أمريكا لفيتنام بعد خروج القوات الفرنسية، ويحاولون غزو ثقافة الفيتناميين وتحويلهم للشكل الأمريكي، الأمر الذي يتضح للغاية في رواية "الأمريكي الهادئ" للكاتب جراهام جرين إحدى الكلاسيكيات المهمة. كذلك أثناء الحرب الباردة[35] واهتمامهم بدراسة اللغات الروسية والعربية، إنه أمر مرتبط بشكل مباشر بأجندة تسعى لفرض السلطة والهيمنة، أكثر من أي شكل معرفي آخر لتبادل الثقافات.

غلاف رواية الأمريكي الهادئ

35) الحرب الباردة (Cold War) هو مصطلح يستخدم لوصف حالة الصراع والتوتر والتنافس التي كانت توجد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وحلفائهم من فترة منتصف الأربعينيات حتى أوائل التسعينيات من القرن العشرين. خلال هذه الفترة، ظهرت الندية بين القوتين العظميين خلال التحالفات العسكرية والدعاية وتطوير الأسلحة والتقدم الصناعي وتطوير التكنولوجيا والتسابق الفضائي. ولقد اشتركت القوتان في إنفاق كبير على الدفاع العسكري والترسانات النووية وحروب غير مباشرة – باستخدام وسيط. (المصدر: ويكيبيديا)

الحرب الباردة (1947 حتى 1991)

يسأل تشارلي جلاس البروفيسور سعيد عن تطبيق تلك النظرية على الفنون البصرية واللوحات التي تعتبر من أشهر منتجات مجهودات الاستشراق؟

يعطي إدوارد سعيد مثالًا مدهشًا لتأكيد وجهة نظره، ويحدثنا عن لوحة جيروم[36] الشهيرة "ساحر الأفاعي" The Snake Charmer، ويتكلم عن ملاحظتين، الأولى: أن النقوش العربية الموجودة في اللوحة ليست إلا مجرد شخبطات لا معنى لها، ليس لغة عربية في الأصل وهو ما يدل على أن الفنان ليس على قائمة اهتماماته الدقة في نقل الحقيقة أو الانغماس الكامل في معرفة معاني الأشياء. والملاحظة الثانية: الاهتمام بإبراز الجانب الشهواني والغرائبي والغريزي الذي يكرس لشكل الشرق في المخيلة الغربية، هذا الفتى العاري

36) جان ليون جيروم (Jean-Léon Gérôme) رسام ونحات فرنسي مشهور، ويعد أحد أبرز المستشرقين الذين قدموا إلى الشرق العربي والإسلامي خلال القرن التاسع عشر، ومجموعة رسوماته تتضمن رسومات تاريخية والأساطير الإغريقية والشرق. (المصدر: ويكيبيديا)

تمامًا الذي تصوره اللوحة من الخلف، وتبرز مؤخرته، فيما الرجال الشرقيون يحدقون فيه بنظرات ليست بريئة إطلاقًا. نفس المنطق في استخدام الحريم والجواري في رسم الحرملك الشائع في اللوحات الاستشراقية، نفس التكريس للنظرة السريالية أو الفوق واقعية للشرق.

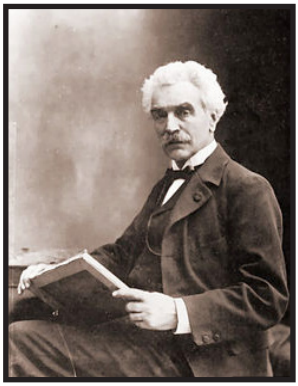

جان لوين جيروم

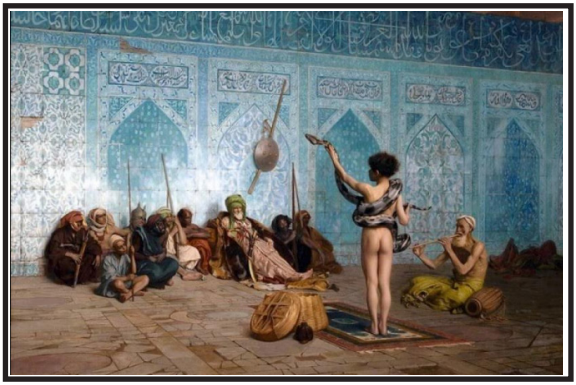

لوحة جيروم الشهيرة

The Snake Charmer

وفي كتاب الحريم الكولونيالي The Colonial Harem للجزائري مالك علولة الذي ألهمه كتاب الاستشراق، يعرض مثلًا مجموعة من بطاقات البريد الفرنسية التي أنتجها الفرنسيون أثناء فترة احتلالهم للجزائر، والتي تشمل

صورًا عارية لنساء الحريم، وهو الأمر المقصود به إثارة المشاعر الحميمة لدى الجمهور الغربي، واستثارة الصورة الغريزية للشرق.

طور سعيد نظريته التي طرحها في كتاب الاستشراق عام ١٩٧٨، في كتاب آخر بعنوان "الثقافة والإمبريالية"[37] صدر بعد ١٤ عامًا في ١٩٩٢، وشمل أطروحات عن أفريقيا والهند ومنطقة البحر الكاريبي من بين مناطق أخرى. مع محاولة استكشاف منطقة جديدة، فإذا كان الاستشراق يتحدث عن هيمنة المستعمر للشعوب، فـ "الثقافة والإمبريالية" يحاول تفسير ما يبدو كعدم مقاومة الشعوب لمحاولات الهيمنة الثقافية تلك.

ويتحدث سعيد عن أن إمبراطوريات الهيمنة الكبرى، مثل الولايات المتحدة لديها شعور قيامي Apocalyptic تجاه مهمتها في قيادة العالم، يؤدي إلى رغبة خفية في تدمير الذات، بالضبط مثل رواية "موبي ديك" لهنري ميلفيل[38] حيث كابتن "إيهاب" يطارد الحوت الأبيض الذي هاجمه سابقًا، وبجنون تأخذه مطاردته هذه إلى تدمير ذاته وسفينته وكل شيء يملكه. المشكلة أن المثقفين الأمريكيين معزولون عن رؤية ذلك، عن رؤية العنف والنهب الأمريكي للدول،

---

37) اعتبر كثير من النقاد هذا الكتاب بمثابة الجزء الثاني لكتاب الاستشراق (رغم الفارق الزمني، 15 عامًا بينهما) فسعيد توسع في هذا الكتاب في تحليل وتفكيك ودراسة نصوص عدد كبير من الكتاب والمؤلفين الأوربيين والأمريكيين بين القرن الثامن عشر والقرن العشرين، هذا الكتاب الذي منع تداوله في المملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج حسب ما ذكر سعيد هذا بنفسه في مقابلة صحفية مع صحفي يهودي ، تصاب بالدهشة خلال قراءتك للكتاب بسعة اطلاع الكاتب وكثرة قراءاته لعشرات المؤلفين الذين يستشهد بنصوصهم، وهو لم يتوقف شارحًا ومحللًا نصوصهم فقط، بل فككها وأطلعك على الظروف التاريخية التي أحاطت بكاتب النص وقارنها بنصوص أخرى لكتاب آخرين في ظروف مشابهة أو في أفكار مشابهة، محيطًا بالنص من جميع جوانبه ومتغلغلًا في أعماق المؤلف وشخصيته. (المصدر: Archive.org)

38) هرمان ملفيل (1819-1891م) (بالإنجليزية: Herman Melville) وُلد ملفيل هرمان في مدينة نيويورك عام 1819. من أبرز الروائيين في أمريكا. كتب موبي ديك هي واحدة من أشهر الروايات الأدبية. ترجع شهرته إلى هذه الرواية بشكل رئيس، لكنَّ كثيرًا من أعماله الأخرى هي أيضًا إبداعات أدبية عالية المستوى؛ تمتزج فيها الحقيقة والخيال والمغامرة والرمزية البارعة. كتب ملفيل عن تجاربه بطريقة جذابة جعلته أحد أكثر الكُتَّاب شعبية في زمانه. وقد أضفى على مغامراته خيالًا خصبًا وشكلًا فلسفيًا، إلى جانب مهارةٍ فائقة في استعمال اللغة الإنجليزية الأمريكية. (المصدر: ويكيبيديا)

ربما كان هناك حراك واسع أثناء حرب فيتنام لأن آلاف الجنود الأمريكيين كانوا متورطين هناك في ذاك المستنقع، أما في حرب العراق مثلًا وعدم وجود قوات واسعة، فالأمر مختلف، ورؤية الكارثة الأمريكية غير واضحة من الداخل.

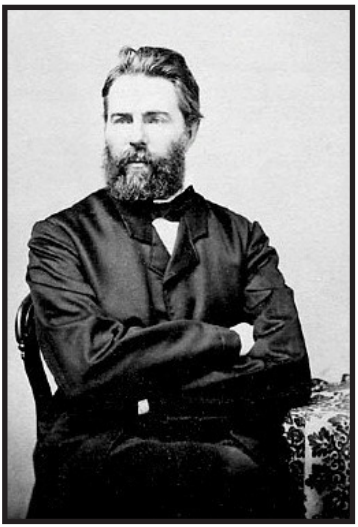

هرمان ملفيل

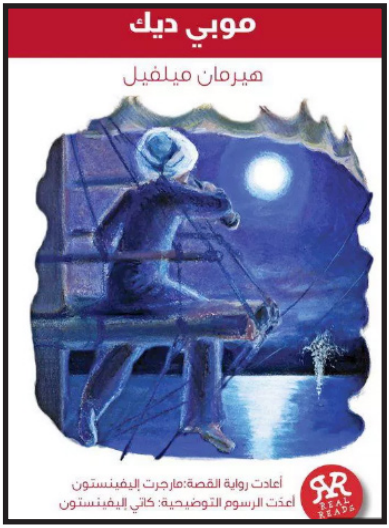

موبي ديك

ويسأل جلاس البروفيسور سعيد عن معنى التدريس بالنسبة له.

يخبره سعيد بأنه يدرس من أجل الأشخاص المأمول أن يتغيروا، أن يحدثوا تغييراً، وهناك الكثيرون ممن تغيروا بالفعل، ويخبره أنه يدرس الأدب الراقي، والأعمال الكلاسيكية، سواء الأدب أو الموسيقى، ولا يحب تدريس الأدب الرخيص أو ما يسمى Junk Fiction، ويحاول أن يدفع طلبته -وقراءه أيضًا- للاتصال بتلك الأعمال العظيمة ذات الحس الإنساني والإبداعي الراقي، وكان سعيدًا مثلًا عندما هاتفه ابنه "وديع" ذات يوم، وكان لديه ١٨ عامًا في هذا الوقت، وقال له: "أبي، كيف لم تحدثني عن بلزاك من قبل؟ كيف لم تخبرني عن هذا الرجل الرائع"[39]. في هذه اللحظة شعر سعيد بالسعادة لأن ابنه اتصل بمكون ثقافي مختلف وخارج عن الثقافة الشعبية المسيطرة Mainstream.

بلزاك

39) بلزاك (بالإنجليزية: Balzac): من رواد الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر في الفترة التي أعقبت سقوط نابليون. وهو كاتب فرنسي، روائي، كاتب مسرحي، ناقد أدبي، كاتب مقالة وصحفي. لقد ترك لنا واحدة من أكثر الكتب الروائية إذهالًا في الأدب الفرنسي، مع أكثر من تسعين رواية وقصة قصيرة (137 قصة) ظهروا منذ عام 1829 حتى 1855 مُجمَّعين بعنوان الملهاة الإنسانية. ويُضاف على هذا كتاب مائة قصة فكاهية، وأيضًا روايات شابة نُشرت بأسماء مستعارة وحوالي خمسة وعشرين عمل موجز. وهو يُعتبر من رواد الرواية الفرنسية، حيث تناول بها في أكثر من نوع، حيث ألف التحفة المجهولة في الرواية الفلسفية، وفي الرواية الخيالية حيث ألف الجلد المسحور، وأيضًا في الرواية الشعرية حيث ألف الزنبق في الوادي. وقد برع أيضًا في السياق الواقعي حيث ألف الأب غوريو وأوجيني غراندي، ولكنه يتعلق بالواقعية الحالمة التى يسمو بها قدرته على التخيل الإبداعي. (المصدر: ويكيبيديا)

نفس الأمر بالنسبة لمقالاته، واتصاله بالقراء في جميع أنحاء العالم بشكل عام، وفي المنطقة العربية بشكل خاص، حيث كتب بشكل منتظم لصحيفة عربية لمدة ١٢ عامًا تقريبًا، وساعده الإنترنت أيضًا في الانتشار، ومحاولة طرح الأسئلة، وتشجيع القارئ على التفكير، فليس لديه كل الأجوبة، ولا يحب الركون للاطمئنان لتفسيرات نهائية، ويحب دائمًا أن يظل عقله قلقًا وعاملًا تجاه جميع المسائل.

يعود تشارلي جلاس لموضوع فلسطين، ويسأل الأستاذ سعيد عن ذكرياته هناك -ليست ذكريات الطفولة وإنما في المراحل الأخرى من حياته- ويسأله لماذا لم يقرر العودة والإقامة في فلسطين؟

في عام ١٩٨٨ كان سعيد عضوًا في المجلس الوطني الفلسطيني، وكان يريد تسجيل برنامج تليفزيوني -من إنتاج أمريكي- حول عودته إلى فلسطين، لكن إسحاق شامير[40] أصدر قرارًا بمنع سعيد من دخول الأراضي الفلسطينية، ولم يتسنَّ لسعيد العودة إلا بعد عام ١٩٩١ عندما استقال من المجلس الوطني -لخلافات مع الرئيس الراحل ياسر عرفات، كما سيأتي الذكر لاحقًا- وذلك قبل اتفاقية أوسلو [41].

40) إسحاق شامير: رئيس الوزراء الإسرائيلي السابع 1983 إلى 1984 وفي الفترة الثانية من 1986 إلى 1992. يتصف شامير باليميني المتشدد حيث عارض مؤتمر كامب ديفيد للسلام مع مصر وعارض الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان. (المصدر: ويكيبيديا)

41) اتفاقية أو معاهدة أوسلو، أو أوسلو 1، والمعروفة رسميًّا باسم إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي هو اتفاق سلام وقعته إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في مدينة واشنطن الأمريكية في 13 سبتمبر 1993، بحضور الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون. وسمي الاتفاق نسبة إلى مدينة أوسلو النرويجية التي تمت فيها المحادثات السرّية التي تمت في عام 1991 أفرزت هذا الاتفاق فيما عرف بمؤتمر مدريد. تعتبر اتفاقية أوسلو، التي تم توقيعها في 13 سبتمبر/ أيلول 1993، أول اتفاقية رسمية مباشرة بين إسرائيل ممثلة بوزير خارجيتها آنذاك شمعون بيريز، ومنظمة التحرير الفلسطينية، ممثلة بأمين سر اللجنة التنفيذية محمود عباس. وشكل إعلان المبادئ والرسائل المتبادلة نقطة فارقة في شكل العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل. (المصدر: ويكيبديا)

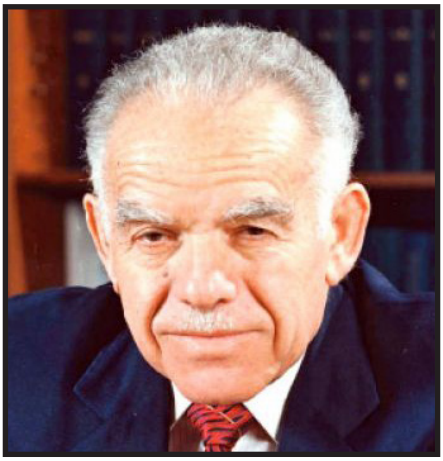

إسحاق شامير

معاهدة أوسلو

وعندما عاد سعيد لفلسطين صدم من مشاهدته للأسلاك الشائكة في كل مكان، وللجنود الإسرائيليين، ولكم الأسلحة والعتاد، وللقبضة الأمنية الخانقة، شعر أنه لا يستطيع المكوث هناك، ستكون الحياة صعبة، لن يمكنه فعل أي شيء ولا إنجاز أي شيء مثلما يفعل في أمريكا، وكذلك لأن حالته الطبية في حاجة لعناية لن يجدها هناك، وسوف يكون قرارًا عاطفيًّا وحسب إذا ما قرر البقاء. صديقه "إبراهيم أبو لغد" غادر أمريكا بعدما مكث فيها ٤٠ عامًا وعاد إلى فلسطين، أما هو فلم يستطع. لكن انهماكه حول الشأن الفلسطيني لم يفتر ولم ينقطع قط.

كتب سعيد عدة كتب عن فلسطين، وساعد في إنتاج عدة أفلام وثائقية في الثمانينيات عن فلسطين -من الخارج بالطبع- وتعاون مع المصور الشهير "جان مور" لإنتاج كتاب تحت اسم "ما بعد السماء الأخيرة" يحتوي ٥٠٠ صورة عن الفلسطينيين في حياتهم اليومية، صورها وجمعها مور عبر سنوات طويلة، وكتب لها الوصف الأستاذ سعيد.

يتذكر سعيد في المقابلة مع جلاس تقاربه مع منظمة التحرير الفلسطينية بعد عام ١٩٦٧ حيث بزغ نجمها وتأثيرها، وحكى قصته مع "كمال ناصر" الناطق باسم المنظمة، الذي تم اغتياله على يد "إيهود باراك" الذي أصبح رئيسًا لوزراء إسرائيل فيما بعد[42]، وتم ذلك بطريقة عنيفة للغاية، حيث تم إطلاق النار على فمه؛ لأنه كان مفوهًا وبليغًا وذا أثر بخطابه.

حكى أكثر عن منظمة التحرير الفلسطينية وعملها من لبنان، ثم حصارها في بيروت عام ١٩٨٢ وانتقال ياسر عرفات في منفى قصري لمدة ١٠ سنوات للإقامة في تونس، وعن علاقته بعرفات الذي عرفه جيدًا؛ لأن سعيد كان عضوا

42) إيهود باراك (12 فبراير 1942)، سياسي إسرائيلي وكان عاشر رئيس وزراء لإسرائيل ووزير الدفاع من 1999 إلى 2001، ثم تولى مرة أخرى وزارة الدفاع من 2007 حتى 2013. رأس إيهود باراك حزب العمل الإسرائيلي من 2009 وحتى 2013. (المصدر: ويكيبيديا)

في "المجلس الوطني الفلسطيني"، وكان يتردد على تونس ويلتقى بعرفات من أجل الاجتماعات والمحادثات، وكان سعيد يرى أن مهمته الرئيسية هي نقل رؤية كاملة عن الولايات المتحدة وكيفية تأثيرها لعرفات ومنظمة التحرير. وكان يكرر مع صديقه إقبال أحمد على مسامعهم ضرورة العمل على الداخل الإسرائيلي والأمريكي من أجل حشد توعية ودعم للقضية الفلسطينية والتعاطف مع حقوق الشعب الفلسطيني.

إيهود باراك

ثم حدث وتوترت العلاقة بين سعيد وعرفات بعد انحياز الأخير لصدام حسين أثناء اجتياح الكويت، وبعدها التحضير لمحادثات سرية مع إسرائيل أودت لتنازلات فلسطينية هائلة ترجمت لاتفاق أوسلو عام ١٩٩٣[43].

يعلق جلاس على الأمر: كان العالم كله مبتهجًا بالاتفاق، ويمجده بأن السلام أخيراً حل بين الفلسطينيين والإسرائيليين، بينما خرجت أنت وحيدر عبد الشافي[44] ووصفتما الاتفاق بالمخزي، لماذا ذلك؟

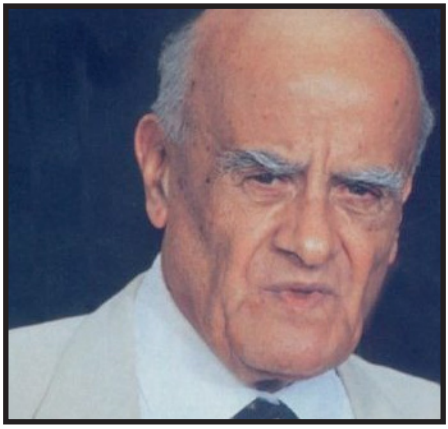

حيدر عبدالشافي

43) اتفاقية أو معاهدة أوسلو، أو أوسلو 1، والمعروف رسميًّا باسم إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي هو اتفاق سلام وقعته إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في مدينة واشنطن الأمريكية في 13 سبتمبر 1993، بحضور الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون. وسمي الاتفاق نسبة إلى مدينة أوسلو النرويجية التي تمت فيها المحادثات السرّية التي تمت في عام 1991 أفرزت هذا الاتفاق فيما عرف بمؤتمر مدريد. تعتبر اتفاقية أوسلو، التي تم توقيعها في 13 سبتمبر/ أيلول 1993، أول اتفاقية رسمية مباشرة بين إسرائيل ممثلة بوزير خارجيتها آنذاك شمعون بيريز، ومنظمة التحرير الفلسطينية، ممثلة بأمين سر اللجنة التنفيذية محمود عباس. وشكل إعلان المبادئ والرسائل المتبادلة نقطة فارقة في شكل العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل. (المصدر: ويكيبديا)

44) حيدر محيي الدين عبد الشافي (10 يونيو 1919 - 24 سبتمبر 2007)، طبيب وسياسي فلسطيني؛ ترأس وفد فلسطين المفاوض في مؤتمر مدريد للسلام. كوَّن قناعة بأن إسرائيل لا تريد السلام. (المصدر: ويكيبديا)

يقول سعيد إن الاتفاق لم يذكر إطلاقًا إنهاء الاحتلال، ولا تفكيك المستوطنات ووقف الاستيطان، ولا عن اللاجئين، ولا مدينة القدس، ولا أي شيء يمت لسيادة فلسطينية حقيقية، لقد كان الأمر مخزيًا، ولم يكن المفاوضون الفلسطينيون على معرفة حقيقية بحقائق الأمور على الأرض، كانوا متفائلين أكثر من اللازم، ويريدون تلميع عرفات فقط كبطل يأتي بالسلام. كل ما حصلوا عليه هو سطر واحد فقط: تعترف الحكومة الإسرائيلية بمنظمة التحرير ممثلًا للشعب الفلسطيني، ثم توقيع إسحاق رابين[45]، بينما كتب الفلسطينيون في وثيقة الاتفاق الكثير والكثير حول تعهدهم بوقف المقاومة المسلحة، والكفاح من أجل التحرير، والاعتذار عن الأعمال "الإرهابية"، والاعتراف بالدولة الإسرائيلية وحق التعايش السلمي ... إلخ. هذا اتفاق تم مع الدولة الوحيدة في الأمم المتحدة التي ليس لها حدود معروفة، وتتوسع كل يوم على حساب الشعب الفلسطيني بلا حساب. يصف سعيد الوضع بكلمات تفيض مرارة وغضب: كان هذا يوم خزي وعار.

45) إسحاق رابين (1 مارس 1922 - 4 نوفمبر 1995) سياسي إسرائيلي وجنرال عسكري سابق في الجيش الإسرائيلي ورئيس وزراء إسرائيل، يُعد من أبرز الشخصيات الإسرائيلية، وأحد أهم متخذي القرارات في الشئون الخارجية، العسكرية والأمنية في إسرائيل. إسحاق رابين خامس رئيس وزراء إسرائيلي، وتقلد هذا المنصب في فترتين؛ الأولى من 1974 إلى 1977، والثانية من 1992 انتهت بإطلاق الرصاص عليه ومقتله في 4 نوفمبر 1995 على يد قاتل يهودي اسمه إيجال عامير، ليصبح رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي الوحيد الذي يقضي اغتيالاً، ويعد رابين من أشهر رجالات البالماخ المتفرعة من الهاجاناه العسكرية. في عام 1992، تمكّن رابين من الفوز بمنصب رئيس الوزراء للمرة الثانية ولعب دوراً أساسيًّا في معاهدة أوسلو للسلام التي أنجبت السلطة الفلسطينية وأعطتها السيطرة الجزئية على كل من قطاع غزة والضفّة الغربية. وفي الفترة الثانية لرئاسة رابين للوزراء، توصلت إسرائيل لاتفاقية سلام مع الأردن مع اتّساع كبير في بقعة المستوطنات الإسرائيلية في كل من الضفّة الغربية وقطاع غزّة. (المصدر: ويكيبيديا)

إسحق رابين

وفي مقابلة مع بي بي سي للتعليق على الاتفاق، تحدثت بعد عاموس عوز القاص والروائي الإسرائيلي الشهير وعضو حركة "السلام الآن"، علق عوز على الاتفاق بأنه: ثاني أعظم انتصار للصهيونية، وكان يعني أن الإسرائيليين أوقعوا الفلسطينيين في فخ، وجعلهم يستسلمون ويمضون على بياض تقريبًا. ثم تحدث سعيد بعد عوز، وانتقد الاتفاق بشدة، ومن يومها أصبح عدوًّا لعرفات والذي هاجمه وحظر كتبه من الدخول للأراضي الفلسطينية (والمفارقة أن نفس الكتب كانت متاحة في إسرائيل)، وأوغر الكثيرون صدر عرفات تجاهه، واتهموه بأنه غاضب لأنه لم يحصل على منصب وزاري. وحدث بعدها أن حاول عرفات ترتيب لقاء مع سعيد، لكنه رفض بشكل بات أن يكون له علاقة بعرفات وجماعته -الشيء الطريف أن سعيد كان يطلق عليه لقب "رجل عرفات في نيويورك" خلال الثمانينيات- وبعد ضغط اشترط سعيد شرطًا وحيدًا لكي يقابل عرفات: أن يتم ذلك بشكل علني كمناظرة على خشبة مسرح أو قاعة اجتماعات عامة ليناقشا القضايا الفلسطينية على رؤوس الأشهاد. لكن ذلك بالطبع كان مستحيلًا.

وفي عام ١٩٩٨ عاد سعيد للأراضي الفلسطينية لتصوير فيلم بعنوان In Search Of Palestine احتوى على مشاهد لتصوير منزل أهل سعيد والأماكن الأخرى التي يعرفها هناك، مع مجموعة من المقابلات مع شخصيات شهيرة ومؤثرة، منهم الشاعر الفلسطيني الأسطوري محمود درويش[46]، ودانيل بارينبويم وإبراهيم أبو اللغد، وأثناء تصوير أحد المشاهد وجد سعيد جنودًا إسرائيليين يتجادلون مع سكان فلسطينيين، وعلم أنهم أتوا للاستيلاء على أراضي الأخيرين، استشاط سعيد غضبًا واصطحب الكاميرا وواجه الإسرائيليين، الذين قالوا: نحن هنا لنوسع الطريق، وليس مسموحًا لنا الحديث للكاميرات.

كانوا قد أتوا من أجل أعمال تخص بناء مستوطنة جديدة، أخبرهم أنهم

---

46) محمود درويش (13 مارس 1941 - 9 أغسطس 2008)، أحد أهم الشعراء الفلسطينيين والعرب والعالميين الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والوطن. يعتبر درويش أحد أبرز من ساهم بتطوير الشعر العربي الحديث وإدخال الرمزية فيه. في شعر درويش يمتزج الحب بالوطن بالحبيبة الأنثى. قام بكتابة وثيقة إعلان الاستقلال الفلسطيني التي تم إعلانها في الجزائر. (المصدر: ويكيبيديا)

من أشهر قصائده قصيدة "سجِّل أنا عربي" يقول مطلعها:

سجِّل! أنا عربي
ورقمُ بطاقتي خمسونَ ألفْ
وأطفالي ثمانيةٌ
وتاسعهُم، سيأتي بعدَ صيفْ!
فهلْ تغضبْ؟
سجِّلْ!
أنا عربي
وأعملُ مع رفاقِ الكدحِ في محجرْ
وأطفالي ثمانيةٌ
أسلُّ لهمْ رغيفَ الخبزِ،
والأثوابَ والدفترْ
من الصخرِ
ولا أتوسَّلُ الصدقاتِ من بابِكْ
ولا أصغرْ
أمامَ بلاطِ أعتابكْ
فهل تغضب؟

يقتلون الأشجار والمحاصيل التي في طريقهم، وأنهم سيوقفون رزق هؤلاء الرجال الفلسطينيين، جاوبوه بأنه لا يهم، هذا تطور ولا يمكنك إيقاف الأمر.

المشكلة أن السلطة الفلسطينية كانت على علم بما يحدث، ولم تكن تتحرك، الأمريكان كانوا يعلمون، لكن تلك الأمور كانت تمضي بمباركتهم.

محمود درويش

يتدخل جلاس هنا ويذكر أن بعد فترة أوسلو بدا أن الحكومة الفلسطينية لها يد في تسهيل عملية الاستيطان بشكل ما، وكان وزراء السلطة يغتنون عن طريق القيام بصفقات لبيع المواد العسكرية ومواد إنشاء المستوطنات، وأعطى "جميل الطريفي" مثالًا. ويفسر سعيد ارتباط الشعب الفلسطيني بقيادة عرفات رغم معرفة الشعب بجميع تلك المشاكل، بأن العرب عمومًا

لديهم ميل للارتباط بالنموذج الأبوي والسلطة الأبوية، فعرفات تم وضعه كمخلص، وأب من قبل، وبالتالي لاحقًا يغفر له الجميع أخطاءه، بل يبررونها ويدافعون عنها، بالضبط مثلما فعل المصريون مع عبد الناصر بعد نكسة ١٩٦٧ وخروجهم في مظاهرات لإثنائه عن قرار التنحي. للأسف بعد أوسلو لم يخاطب عرفات شعبه ولم يوضح لهم الأمور على حقيقتها مثلما فعل مثلًا "مانديلا"[47] وغيره من القيادات الرشيدة.

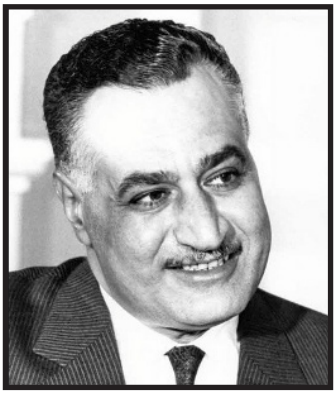

جمال عبد الناصر

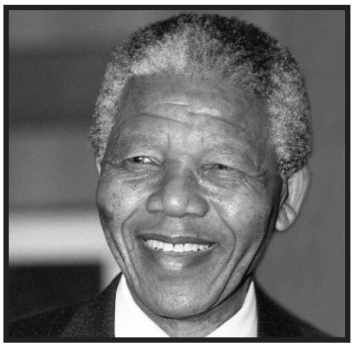

نيلسون مانديلا

47) نيلسون روليهلاهلا مانديلا؛ (18 يوليو 1918 - 5 ديسمبر 2013)، سياسي مناهض لنظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، وثوري شغل منصب رئيس جنوب أفريقيا 1999-1994. وكان أول رئيس أسود لجنوب أفريقيا، انتخب في أول انتخابات متعددة وممثلة لكل الأعراق. ركزت حكومته على تفكيك إرث نظام الفصل العنصري من خلال التصدي للعنصرية المؤسساتية والفقر وعدم المساواة وتعزيز المصالحة العرقية. سياسيًّا، هو قومي أفريقي وديمقراطي اشتراكي، شغل منصب رئيس المؤتمر الوطني الأفريقي (: African National Congress ANC) في الفترة من 1991 إلى 1997. كما شغل دوليًّا منصب الأمين العام لحركة عدم الانحياز 1999-1998. (المصدر: ويكيبيديا)

امتلك عرفات أيضًا الجرائد، اشترى جميع المؤسسات الصحفية، وتحكم فيما ينشر ولا ينشر، وفي مرة حبس محرر صحفيًّا، لأنه وضع صورته أثناء الاحتفال بقداس ليلة عيد الميلاد في كنيسة المهد، في الصفحة الثالثة من الجريدة بدلًا من وضعها في صدر الصفحة الأولى.

عرفات

يؤكد سعيد أن المشكلة هي عدم تصدي الطبقة المثقفة لمثل هذه الممارسات، قيام المثقفين بالتوعية الدائمة ضد ذلك والعمل على "وعي" الشعب هو الحل الوحيد لمقاومة ممارسات مثل تلك السلطة غير الرشيدة وغير الديمقراطية، ولذلك دائمًا ما يشيد بصديقه "إبراهيم أبو لغد" الذي ترك الولايات المتحدة بعد سنين طويلة من الاستقرار، وترك النجاح، ووظيفته المرموقة كبروفيسور في الجامعة، وترك منزله في ضواحي شيكاجو، وعاد لرام

الله ليعرض خدماته العلمية والثقافية والتوعوية والجامعية بلا أي مقابل! يرى سعيد أن هذا النوع من الالتزام أصبح مفقودًا.

ويتحدث سعيد عن أن مفاوضات مثل كامب ديفيد[48] كان لا بد أن يكون مصيرها الفشل الذريع، لأن عنجهية إيهود باراك وما قيل إنها "تنازلات" سخية يقدمها، كانت شديدة الاستفزاز؛ لأنه لا يتنازل عن أراضٍ يمتلكها، إنها أراضٍ محتلة، أراضي الفلسطينيين، وكدهم، وعرقهم، ومعاناتهم اليومية، مع معدلات بطالة غير مسبوقة، ومع حياة وانتقالات أصبحت شبه مستحيلة بسبب الحواجز ونقاط التفتيش، وبالتالي أصبح ما أطلق عليه أشخاص مثل "دينيس روس"[49] مصطلح "عملية السلام" مصطلحًا وهميًّا بالفعل، مختلقًا من أجل الاستهلاك الإعلامي ومظاهر العلاقات العامة، ولا يعني أي شيء بالنزول إلى أرض الواقع والمعيشة الفلسطينية اليومية.

حتى اتفاقية أوسلوا نفسها تجاوز الإسرائيليون الجدول الزمني الخاص بها، ولم يسحبوا جنديًّا واحدًا من الأراضي المحتلة حسب الاتفاق.

وما توصل إليه سعيد هو أنه لا حل سوى حل العيش المشترك بشكل ما

---

48) قمة كامب ديفيد 2000 هي قمة باءت بالفشل عقدت من أجل إيجاد حل سلمي للصراع الإسرائيلي الفلسطيني، عقدت في منتجع كامب ديفيد في 11 يوليو/تموز 2000م وجمعت بين الرئيس الأمريكي حينها بيل كلينتون، رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود براك، ورئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات. دامت القمة لمدة أسبوعين تم على أثرها اتهام الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات بإفشالها. (المصدر: ويكيبيديا)

49) دينيس روس هو مستشار في معهد واشنطن. وزميل في برنامج الزمالة زيغلر. كان السيّد روس الرجل الأول لعملية السلام في الشرق الأوسط أثناء ولاية إدارة كل من جورج بوش الأب وكلينتون، حيث كان يعمل عن كثب مع وزراء الخارجية جيمس بيكر ووارن كريستوفر ومادلين أولبرايت. وقد قام بدور الوسيط في مساعدة الفلسطينيين والإسرائيليين للوصول إلى الاتفاق المؤقت عام 1995؛ كما توسط اتفاقية الخليل عام 1997 وقام بتسهيل معاهدة السلام الأردنية - الإسرائيلية. (المصدر: ويكيبيديا)

بين الفلسطينيين والإسرائيليين بشكل عادل، أما مسألة منح الفلسطينيين فتات من الأرض يعيشون عليها في كانتونات معزولة تزيد معاناتهم وعزلتهم وتخرج أجيالًا مشحونة بالصراع والإحساس بالظلم وعدم المساواة والعيش في الجيتو، لن يكون له أي أثر طيب يذكر على المستقبل القريب أو البعيد.

المشكلة أن الإسرائيليين أنفسهم -حكوماتهم وحكامهم المشتددون- لا يرغبون في ذلك، يريدون دولة دينية لا يسكنها غير اليهود، قمة العنصرية في العالم المعاصر، وبالتالي لا وجود للعرب بها.

حدث مثلًا واقترح أحد النواب في الكنيسيت إدراج قصائد "محمود درويش" في مادة اختيارية في المرحلة الثانوية، جن جنون النواب وصرخوا: "ولماذا نفعل ذلك؟" هذا مؤشر خطير على إقصاء الآخر، ويؤشر لطبيعة النفسية التي تحكم إسرائيل اليوم. ما البديل إذن؟ أن تستمر إراقة الدماء؟ أن يستمر التطهير العرقي للفلسطينيين؟ هل يظنون أنهم يمكنهم القضاء عليهم حتى الفلسطيني الأخير؟ هذا لن يحدث بالطبع مطلقًا، عليهم في النهاية أن يفكروا بعقلانية، وأن يتعلموا العيش مع جيرانهم الفلسطينيين والعرب بشكل حضاري وبشكل عادل، بالضبط مثلما تصالح الجنوب أفريقيون، وتركوا دولة الفصل العنصري في النهاية.

وحتى لا يكون هذا الحديث مغرقًا في المثالية ومجرد تمنيات لا تستند للواقع، يطرح سعيد تجربة عملية قام بها بالاشتراك مع صديقه "بارنبويم" الموسيقار الإسرائيلي، حيث نظمت له حفلة في الضفة الغربية عام ١٩٩٩، في البداية كان إقناع الفلسطينيين صعبًا، لكن الحفلة سارت على ما يرام، بل أقام حفلة أخرى في رام الله. هنا يمكن جمع الناس على الاهتمامات

المشتركة، مثل الفن والموسيقى والثقافة، هذا ما لا يمكن لأوسلو ولا كامب ديفيد ولا دينيس روس ولا "عملية السلام" المزعوم أن يحققوه.

اتفاقية كامب ديفيد

اتفاقية كامب ديفيد

لدي دائمًا هاجس ملح بخصوص أولادي, ترى هل ستشكل لديهم القضايا العربية وفي مقدمتها الصراع العربي الإسرائيلي ومعاناة الشعب الفلسطيني أدنى اهتمام؟ هل سيكون لديهم إلمام بتاريخ هذه القضية وبحقيقة الصراع الذي خاضت الشعوب العربية حروبًا طويلة ومريرة بسببه, وبحقيقة أنه لم ينتهِ نهاية عادلة ومنصفة تعود بالحق العربي والفلسطيني حتى هذه اللحظة؟

أرى الأجيال الأصغر وما يتعرضون له من تسطيح ثقافي وخداع إعلامي وتهميش سياسي, وأرى ما يتم الهرولة إليه تحت مسمى أشياء مراوغة مثل الشراكة العربية الإسرائيلية الاستراتيجية ضد العدو الإيراني, وأشياء مثل «صفقة القرن» لتصفية القضية الفلسطينية, وتدشين السفارة الأمريكية الجديدة في مدينة «القدس» اعترافًا بها عاصمة لإسرائيل, وأتساءل ماذا سيكون أثر كل ذلك على وعي الأجيال الجديدة؟

هذا هو الدافع الرئيسي لتقديم هذا الكتاب, محاولة لاستعادة الوعي بالقضايا الرئيسية عبر إلقاء الضوء على المقابلة الأخيرة التي تمت مع المفكر الفلسطيني الكبير «إدوارد سعيد» قبل وفاته في 25 سبتمبر 2003، بعد صراع طويل مع سرطان الدم. سعيد من مواليد القدس 1935، عاش مع عائلته في القاهرة جانبًا لا يستهان به من طفولته, قبل أن ينتقل إلى الولايات المتحدة، حيث قضى أغلب حياته مشغولًا بقضايا أدبية وموسيقية وسياسية وفلسفية متنوعة, ومدافعًا عن حقوق الإنسان للشعب الفلسطيني, ووقتًا ما وصفه الصحفي البريطاني الأشهر المتخصص في شئون الشرق الأوسط «روبرت فيسك» بأنه أكثر صوت فعال في الدفاع عن القضية الفلسطينية.

محمد جمال: كاتب ورائد أعمال، مؤسس منصة كتبنا للنشر الشخصي، حائز على جائزة MIT 2015 للإبداع، صدرت له روايات "رولر كوستر" و"أحلام القيامة" و"شرارة" ومجموعة قصصية بعنوان "ألعاب عقل مشغول"، وكتابين سينمائيين "بوكس أوفيس" و"جوكر 11:11"، ويكتب مقالات عن السينما الأجنبية بشكل دوري على عدة مواقع مصرية وعربية.

تصميم الغلاف: الفنان مختار زين

كُتبنا KOTOBNA

9 781645 168447